اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية

تصدر عن دار المعارف

آمال البنا

سعد الدين الشاذلى

القائد.. الأسطورة



دار المعارف

تأسست ١٨٩٠



هذا الكتاب يحكى مشوار حياة الفريق سعد الشاذلى - رئيس أركان حرب الجيش المصرى الأسبق وقائد أول حرب عربية منتصرة فى التاريخ العربى الحديث - الذى لقب بالبطل الأسطورة. لأنه كما كان بطلا فى مواجهة الأعداء فى ميدان القتال .. كان أيضا بطلا فى مواجهة الظلم الذى وقع عليه من الأنظمة المتعاقبة فى وطنه مصر ومحضن بطولاته ! ليصبح بذلك أول ضابط مصرى يحمل رتبة الفريق ويزج به فى السجن ظلما وبهتانا ! فزاده الظلم شهرة على شهرته! وفى كل الحالات - منتصرا أو مهزوما - عاش الفريق "سعد الشاذلى" مشوار حياته الخاصة و العسكرية رجلا فذا .. ورتبت له الأقدار تكريما خاصا فى يوم رحيله؛ فرحل يوم تغيير التاريخ فى مصر وودعه ملايين المصريين بصلاة الغائب فتحول وداعه - الذى تزامن مع يوم انتصار ثورة ٢٥ يناير - إلى احتفال شعبى كبير! لتؤكد لنا الأيام أن الفريق "سعد الشاذلى" صورة للبطولة الحقيقية فى أزماته وانتصاراته!



http://gate.dar-elmarf.com

٤٠٨٣٨٢/٠١



اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف
[٧٦٦]

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع النظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ – E-mail: maaref@idsc.net.eg

آمال البنا

الفريق سعد الدين الشاذلى
القائد الأسطورة



http://gate.dar.elmarf.com

اقرأ

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا فى شىء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها.

طه حسين



أحلام شهرزاد - العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

إهـــــداء

إلى شعب مصر العظيم أُهدى هذا العمل الوطنى تحيةً إلى واحدٍ من أبطال مصر الأفذاذ.. البطل الفريق سعد الدين الشاذلى.

آمال البنا

تنويه

الوقائـــع التــى وردت بالكتاب مأخــوذة من روايات أســرة الفريق الشــاذلى (كريماته وأحفــاده) ،وروايات لبعض ضباط القوات المســلحة ممن عاصروا الفريق «ســعد الشاذلى» وعملوا تحت قيادته.كما تم توثيق الأحداث بمادة صحفية أرشـيفية تتناول تغطيــة الأحداث الهامة فى حياة الفريق «الشــاذلى»، بمراجعة اللواء د/ إبراهيم شكيب كما شارك فى المراجعة التحريرية المهندس/ وائل صلاح حســين أما صور الكتاب فمهداة من أسرة الفريق الشاذلى وبعضها من الأرشيف الصحفى. ولم يرد فى هذا الكتاب ما يُعد من الأسرار العسكرية المحظور نشرها.

آمال البنا

سيرة الفريق سعد الدين الشاذلى

• ولد الفريق سـعد محمد الحسـينى الشـاذلى فى إبريل ١٩٢٢م الموافق ٦ربيع الأول ١٣٣٢ هجرية فى قرية شبراتنا - بسيون - بمحافظة الغربية.

• اسم الشهرة / سعد الدين الشاذلى.

• تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤١م .

• خـدم في الحرس الملكي برتبـة ملازم أول فى الفترة من ١٩٤٣م حتى ١٩٤٩م، شارك أثناءها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ م ضمن سرية من الحرس الملكى بأمر من الملك فاروق فى ذاك الوقت.

• شارك مع الضباط الأحرار فى التحضير لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

• مؤسـس وقائد أول فرقة قوات مظلات فى مصر من ١٩٥٤م حتى ١٩٥٩م وشارك خلالها فى حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م.

• قائـد أول قـوات عربية موحدة فى الكونجـو، ضمن قوات الأمم المتحدة خلال عام ١٩٦١م.

• عمل ملحقا حربيا لمصر فى لندن من ١٩٦١م حتى ١٩٦٣م .

• قائد لواء مشاة فى حرب اليمن من ١٩٦٥م حتى منتصف١٩٦٧م.

• قائد قوات المظلات والصاعقة من ١٩٦٧م حتى ١٩٦٩م.

• قائد منطقة البحر الأحمر العسكرية من١٩٧٠م إلى منتصف ١٩٧١م.

• تولى رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية من١٩٧١م حتى ١٩٧٣م فى عهد الرئيس أنور السـادات وكان الشـاذلى هو العقل

المدبــر لخطــة العبور فى حــرب أكتوبــر ١٩٧٣م فأطلقــوا عليه «بطل أكتوبر».

• اختلــف أثنــاء حرب أكتوبــر ١٩٧٣م مع الســادات حول خطة مواجهة ثغرة الدفرســوار فأبعده عن مصر وعينه سفيرا لمصر بالدرجة الممتازة فى لندن خلال عامى ١٩٧٤م و ١٩٧٥م.

• عمل ســفيرا لمصر فى البرتغال لمدة ثلاث ســنوات فى الفترة من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م سطر خلالها أشهر كتبه «مذكرات حرب أكتوبر» وأصدرت الســلطات المصرية ضده حكما غيابيا بالســجن ثلاث سنوات ظلما بتهمة إفشاء أسرار عسكرية فى كتابه.

• أحيل للمحاكمة بتهمتى نشر كتاب مذكرات أكتوبر بدون موافقة مســبقة، وإفشاء أســرار عســكرية فى الكتاب، وأنكر الشاذلى التهمة الثانية لأنها كانت أســرار حكومية وليســت عســكرية ومع ذلك حُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

• عاش فى الجزائر قرابة أربعة عشر عاما منذ ١٩٧٨ حتى ١٩٩٢م وكان للفريق الشــاذلى هناك أنشطة ثقافية ما بين إلقاء محاضرات وعقد مؤتمرات كما أنشــأ جريدة الجبهة فــى الجزائر، واقتنى هناك مكتبة تتجاوز نحو ٥٠٠ كتاب تضمنت عناوين فى كافة المناحى.

• عــاد إلى مصر فى مارس ١٩٩٢م فى عهد الرئيس حســنى مبارك لينفذ عليه الحكم بالســجن ثلاث سنوات بدون إعادة للمحاكمة بسبب إصــداره مذكراته عــن حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وقد أثــارت قضيته كافة

منظمات حقوق الإنسان والعفو الدولية وتدخلوا للدفاع عنه، وتم تخفيف العقوبة بعد تطبيقها إلى عام ونصف العام، ليصبح الشاذلى أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى يحمل رتبة فريق وتطبق عليه عقوبة السجن.

• من أشهر مؤلفاته «مذكرات حرب أكتوبر»، «٤ سنوات فى السلك الدبلوماسى»، «الخيار العسكرى الاستراتيجى»، «الحرب الصليبية الثامنة».

• رحل عن دنيانا عن عمر يناهز ٨٩ عاما وودعته مصر فى يوم تاريخى إبان ثورة ٢٥ يناير فى ١١ فبراير ٢٠١١م متزامنا فى نفس يوم تخلى الرئيس مبارك عن منصب رئيس الجمهورية وتنحيه عن الحكم.

• منحته مصر وسام «نجمة الشرف العسكرية» بعد رحيله فى ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر.

• وافق المسئولون - فى نفس العام ٢٠١١م - بعد رحيله على نشر كتابه «مذكرات حرب أكتوبر فى مصر» ،الذى كان ممنوعا من التداول فى مصر من قبل.

• فى ٤ أكتوبر ٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م. (وكان ذلك آخر تكريم من مصر لابنها البطل سعد الشاذلى حتى صدور هذا الكتاب).

• أهدت السيدة (شهدان الشاذلى) مذكرات والدها الفريق سعد الشاذلى عن حرب أكتوبر إلى مكتبة الإسكندرية بمناسبة احتفالات أكتوبر ٢٠١٢م.

• أطلقت القوات المسلحة اسم الفريق الشاذلى على المحور الدائرى الذى يربط مدينة العبور بمدينة الحرفيين بالقاهرة.

الفريق «سعد الشاذلى» هو القائد الحقيقى الذى خطط ونفذ العبور العظيم وأدار المعارك فى حرب السادس من أكتوبر١٩٧٣م، إنه أسطورة حاول الحاقدون عليه تشويهها ، غير أنهم فشلوا واختفوا وظل الفريق «سعد الشاذلى» حاضرا بقامته الفذة وبطولاته الإنسانية والتاريخية.

الكاتب الكبير الأديب / جمال الغيطانى

قالوا عنه

• كان رجــلا نموذجيا فى كل شــىء، وصاحب عقليــة متفردة فى الدقــة والانضباط والتفكير المنظم، وكانت له قــدرة بارعة على الإقناع تفوق التصور.

المؤرخ العسكرى اللواء د. إبراهيم شكيب

• كانــت لــه قدرة خاصة فى تحويل أى فكــرة إلى واقع، وتحويل الحلم إلى حقيقة فى زمن قياســى وبأقل تكلفة، لكنه كان عنيدا وشديد التمسك برأيه فى كثير من المواقف لثقته الكبيرة بنفسه.

اللواء أشرف راشد

• تميــز بالإبداع القيادى فى إدارة الأزمــات والطوارئ خاصة بعد نكســة ١٩٦٧م وأثنــاء حرب الاســتنزاف، وصعوده فــى الترقى كان لكفاءته النادرة وتميزه.

اللواء جمال مظلوم

• تعــرض الفريــق «الشــاذلى» لظلم عظيــم من الأنظمة (الســادات ومبــارك) وتم إقصــاؤه من مصر أرض بطولاته فزاده الظلم شــهرة على شهرته وخلده التاريخ.

لواء/محمد التميمى

• إن الإعداد الدقيق غير المســبوق لحرب أكتوبر ١٩٧٣م يحســب للفريق الشاذلى، ولن يغفل التاريخ دوره العظيم فى نصر أكتوبر المجيد.

الفريق يوسف عفيفى

قبل الرحلة

أروع الأحداث هى تلك التى تصنعها لنا الأقدار، ففى حبكة درامية خارقة تحدت كل الإبداعات الخياليــة أخرجت الأقدار اللقطة الأخــيرة فى حياة البطل الفريق «ســعد الشــاذلى» متزامنة مع الإعلان عن رحيل الرئيــس مبارك عن الحكم وتخليه عن رئاســة الجمهورية فــى نفس يوم ١١فبراير ٢٠١١ م، وأثناء انــدلاع ثورة ٢٥ يناير عندما قــدّرالله تعالى مصيرالظالم والمظلــوم فى يوم واحد! وكان يــوم الجمعة يوما تاريخيا لكل المصريين يوم احتفالهم بنجاح ثورة ٢٥ يناير فى إســقاط رأس النظام (مبارك) والتى أطلق عليها الثوار جمعة الرحيل، فتحول وداع البطل الفريق «سعد الشــاذلى» إلى احتفال شعبى كبير يليق بمكانته التاريخية فى مصر والعالم العربى، شــارك فيه ملايين المصريين بصلاة الغائب «للشاذلى» الذى عاش حياته محاربا من أجلهم.... يا سبحان الله.

وأثار دهشــتى فى هذا المشهد المهيب أن الملايين التى هتفت مطالبة بســقوط مبارك، هى نفســها التى رفعت أكف الضراعة فى نفس اليوم تطلب من الله تعالى فى صلاة الغائب الرحمة «للشــاذلى» وهو فى طريقه إلى مثواه الأخير فــى الدنيا! فأعادت هذه اللقطة «المعجزة» إلى ذاكرتى لقطــة أخرى لاتقل عنها روعة لازالت منقوشــة فــى ذاكرتنا الوطنية

بحروف النصر وهى لحظة التفاف الجنود والضباط حول قائدهم الفريق «سعد الشاذلى» على خط النار يعانقونه بفرحتهم العارمة بالنصر يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣م ويهتفون «للشاذلى» بنجاح خطته.

حرصت على تسجيل مشوار حياة الفريق «سعد الشاذلى» الخاصة والعسكرية ليس باعتباره واحد من أبرز القادة العسكريين فى التاريخ المصرى الحديث وحسب، ولكن لأنه كان بمواصفاته العسكرية والإنسانية حالة خاصة من البشر! وقائدا عسكريا من الطراز الأول، شهد بكفائته القادة العسكريون على اتساع العالم، بعدما سطر بشجاعته فى ميادين القتال صفحات فخار من تاريخ مصر، كما تميز بصلابته فى مواجهة تحديات الحياة فما كان يعبأ بالأزمات ولا تهزمه التحديات؛ إذ كان يتمتع بقدرة خارقة فى تحويل الهزائم والأزمات إلى انتصارات حتى بلغت نشاطاته الثقافية والاجتماعية ذروتها فى سنوات الغربة والظلم الذى زاده شهرة على شهرته، وتحولت وقتها قضية ظلم «الشاذلى» إلى قضية قومية صال فيها وجال الرأى العام، بعدما أصبح بدخوله السجن فى وطنه منتصرا، أول ضابط فى تاريخ الجيش المصرى برتبة فريق يدخل السجن ظلما وبدون محاكمة وكانت جريمته وطنيته وحبه لبلاده.

ومن المواقف العظيمة التى سيحسبها التاريخ للبطل الفريق «الشاذلى» أنه فى الوقت الذى حكمت عليه السلطات فى مصر بالسجن وحرمانه

مـن حقوقه المدنيـة والقانونية وهـو بعيد عن وطنه، تسـابقت بعض الأنظمة العربية لاستقطابه للاستعانة بعبقريته العسكرية والإنسانية لصـالح بلادهم لكنـه رفضها جميعها لأنه كان يعتـز بمصريته ويدين بولائه لوطنه مصر.

دفعنـي كل ذلك أن أكتب للتاريخ قصة حياة هذا البطل العظيم قائد أول حـرب عربية منتصرة فى التاريخ العربـى الحديث، البطل الذى ظلمتـه الأنظمـة وأنصفه التاريـخ، وعاش رمزا وطنيـا جليلا لأجيال مضت وأجيال أخرى سـتأتى، وما أكثر ما كتب من مؤلفات عن الفريق الشـاذلى بعد رحيله لذا حاولت فى هذا الكتاب أن أختار زاوية أخرى جديدة هى حياته الخاصة مع أسـرته ، وأسـطر لقطات من حياته فى منفاه المختار بالجزائر، كما حاولت أن أتجاوز أسوار محبسه فى فترة سـجنه لأعرف كيـف كان بطلا فى غربته ومحبسـه كما كان بطلا فى ميدان القتال، لأكشـف عن عبقريته الإنسانية لتكتمل بذلك جماليات الحقيقـة، ولأجعـل من أوراق هذا الكتاب تحيـة إلى ذكراه وباقة على قـبره اعتذارًا عما لاقاه مـن بطش وظلم فى وطنه وموطـن انتصاراته، فالكتابة عن أبطال مصر شـرف وطنى أفتخر به. وسـيظل اسم الفريق «سـعد الشـاذلى» قيمة وقامة عالية وعلامة مضيئة فى سـجل التاريخ العسكرى العربى ودُرة فى جبين مصر.

آمال البنا

طفولة الشاذلى بين شبراتنا والقاهرة

قبل أن يلملم الليل عباءته المظلمة ليفسح لخيوط النهار الجديد أن تضىء قريته «شبراتنا»، كان «سعد الشاذلى» تلميذ الابتدائى ينتظر زملاء دراسته على قارعة الطريق، فإذا ما اكتمل عددهم تولى قيادتهم إلى حيث مدرستهم الابتدائية فى «بسيون» التابعة لمحافظة الغربية والتى كانت تبعد عن بلدتهم بما يزيد على ٧ كيلومترات كان عليهم أن يقطعوها سيرا على الأقدام ذهابا وإيابا!

وجاء اختيار الصغار لزميلهم «الشاذلى» للقيام بهذه المهمة لمهارته فى التقدير الدقيق للمسافات وتحديد الزمن اللازم لقطعها بدقة خلال رحلة عنائهم اليومى فى طرق متربة غير ممهدة كانوا يدلفون فيها من طرق ضيقة وقصيرة إلى طرق أطول منها يتبعون «الشاذلى» حتى يصلوا إلى الحقول، وهناك كانوا يسلكون وراءه طريقا مختصرا على أحد جانبيه الحقول وعلى الجانب الآخر قناة ضيقة، يتبعونه فى حذرشديد خوفا من أن تنزلق قدم أحدهم فيسقط فى المياه، وهم يحملون أحلام مستقبلهم البعيد كتبا ثقيلة فى حقائبهم حتى يصلوا إلى بداية الطريق الرئيس المؤدى إلى «بسيون» حيث مدرستهم ليلحقوا بطابور الصباح فى موعده المبكر مع بداية كل يوم دراسى.

ولم يدر «الشـاذلى» - الصغير فى هذه السـن المبكرة (٨سنوات) - أن قيادته لرفاقه إلى المدرسـة تكشـف عن قدراتـه الفطرية على قيادة المجموعات بمهارة، وشـغفه بمواجهة المخاطـر وحبه للمغامرة، وأن مـا يواجهه من عنـاء في رحلته اليومية من وإلى المدرسـة سيكسـبه خبراتـه الأولى في مواجهة صعوبات الحيـاة والتدرب على تحديها، حتى تعلم «سـعد الشـاذلى» في هذه المرحلة المبكرة من عمره أن طريق النجاح محفوف في أغلب الأحيان بالمخاطر ولا يصلح معه الانسـحاب أو التراجع، لأن النجاح فى نهاية كل عام كان جائزة عظيمة تسـتحق العناء الذى يواجهونه كل يوم.

جاء ميلاد «سـعد الشـاذلى» فى إبريل ١٩٢٢م، وكانت مصر وقتها تمـوج بأحداث سياسـية كثـيرة تحت احتـلال بريطانـى جاثم على المصريـين. وأتاحت الظروف العائلية في بيت أسـرته فرصته للتعرف إلى الأحوال السياسـية في البلاد، فاللقاءات الاجتماعية المتكررة التى كانت تنعقد فى بيت والده « محمد الحسـينى الشـاذلى» وكان من كبار الأعيـان فى بلدته «شـبراتنا» كانت تضم بعض أقاربـه وأصدقاء والده وأعيـان بلدته فى لقاءات ودية أسـبوعيه منتظمة فيما يشـبه المنتدى الاجتماعـى، تدور فيـه الأحاديث حول الأوضاع السياسـية والحراك الثورى الذى كان يدور فى البلاد آنذاك.

وكان «الشـاذلى» الصغير شـغوفا بمجالس الكبار مسـتمعا بينهم، يلتقـط مـن حواراتهم ثقافته السياسـية الأولى التى كانت تنبه حسـه

الوطنى خاصة بعد معرفتــه الجذور الوطنية لعائلته، فجده لأبيه كان قد استشهد محاربا مع قوات إسماعيل باشا فى السودان، وبعض أقاربه كانوا مع ثوار ثورة عرابى ضد الخديو والإنجليز، فكان لهذا الكشــف لجذوره العائلية أثر فى تشكيل وجدانه الوطنى، لينتقل بمرور الوقت بفكــره الجديد إلى عالم الكبــار وأحلامهم الوطنية لمصــر، فما انقضت ســنوات طفولته الأولى بانتهاء دراســته الابتدائية بنجاح إلا وكان قد تعلم من لقــاءات الكبار حب مصر ومعنى التضحيــة من أجلها، ليبدأ مرحلــة جديدة من حياتــه ينتقل فيها إلى التعليم الإعــدادى بالقاهرة بعيــدا عن بلدتــه وأهله، ليصنع نجاحه بنفســه فــى أول تجربة مع الغربة.

سنة أولى وطنية

فــى القاهرة هيأ له والده حياة طيبة، تســهل عليه غربة صبى ابن الثانية عشرة، وتساعده على النجاح خلال سنوات متتالية فى انتظاره كان عليــه أن يقضيهــا فى التعليم الإعــدادى والثانــوى (التوجيهى) بالقاهرة. وســاعده مــا كان يتميز به من الانضبــاط والالتزام الجاد فى دراســته على تحمل مسئوليته الدراسية والشخصية بنجاح عاما وراءه أعوام حتــى أنهى تعليمــه الإعدادى وانتقــل إلى التعليــم التوجيهى (الثانوى).

وعلـــى عكس اهتمامات الفتيان فى هذه المرحلة المبكرة من أعمارهم ،كان «الشاذلى» شغوفا بالقراءة ينفق مصروفه الشخصى فى شراء الكتب السياســية ليعكف علـــى قرائتها، وينهل من مؤلفــات الكاتب (محمد حســين هيكل) ومقالاته السياســية فـــى مجلة مصر الفتـــاة ،ومقالات الكاتب إحســان عبد القدوس فى مجلة روزاليوسف التى كانت توصف وقتها بالمقالات النارية لما كان لها من تأثير فى إشعال وجدان المصريين وتبصيرهــم بما يدور فى وطنهم من أحداث، وغيرها من القراءات التى أضافت إلى شخصية «الشــاذلى» نضجا مبكرا، وأشعلت وجدانه الوطنى تجاه الأحوال السياسية التى كانت عليها مصر آنذاك عام ١٩٣٦م.

وفى إحدى الإجازات التى كان يترقبها الطلاب المغتربون عن بيوت أســرهم، عاد «الشاذلى» من القاهرة ليقضى إجازته الأسبوعية بين أهله وأسرته فى بلدته «شبراتنا» ليجد مفاجأة فى انتظاره.



مصر فى قلوب المصريين

لم ينس «سـعد الشاذلى» طالب الثانوى تلك الإجازة التى عاد فيها إلى «شـبراتنا» سـعيدا يحمل إلى أسـرته نتاج قراءاته وثقافته السياسـية الجديدة التى ستفسـح له مكانا فى مجالس الكبار، وبينما كان عقله يسترسـل فى توقعاته وهو يسـرع الخطى نحو بيت أبيه إذا بالبيت وقد أضيئت أنواره واكتظ بالناس فى مظهر ينبئ بانعقاد المنتدى الاجتماعى الأسبوعى فأسرع الخطى ليفسح لنفسه مكانا بين الحاضرين.

ولما وصل إلى البيت وجد «عبد السـلام باشـا الشـاذلى» ابن عم والده الذى كان يشغل منصب مدير مديرية البحيرة (محافظ البحيرة) يتوسط الحاضرين! وكان رجلا مهيبا اشتهر بين أهله وعزوته بمواقفه الوطنية المشـرفة، وكان بحكم عمله يحمل فى كثير من الأحيان أخبارا سياسية تهـم الجميع، مما أضفى أهمية لوجوده فى منتدى بيت «الشـاذلى» فى ذاك اليوم. كان «عبدالسـلام باشا» يروى فى زهو عن جرأته فى تحدى السـلطات الحاكمة ورفضه الاسـتجابة لتنفيذ ما يتعارض مع مصلحة وطنه مصر، والكل يستمع إلى روايته فى انتباه شديد ويشعرون بالفخر لشـجاعته ووطنيته، وهم يتطلعون إليه بطلا من عائلة الشـاذلى يدافع عن أهل وطنه فى جرأة وتحد ، وكانت مثل هذه المواقف تصيب «سـعد الشاذلى» فى هذه المرحلة المبكرة من عمره بالإبهار وتنبت فى عقله حلم

البطولة. ولكن للأسف لم تدم فرحة آل الشاذلى لساعات حتى أتت رياح الأحداث بما لا يشـتهيه أهل «شـبراتنا» خاصة عائلة الشاذلى ،عندما دفع «عبد السلام باشا الشاذلى» ثمن جرأته فى الدفاع عن الحق وتحديه للسلطات الحاكمة التى أحالته فى اليوم التالى إلى المحاكمة التأديبية.

وكانت الصدمة كبيرة على أهل «شبراتنا» بصفة عامة، وعلى عائلة «الشـاذلى» بصفة خاصة، إذ كانوا يخشون مما تحمله الأيام القادمة من توقعات لعقوبات تؤثر على منصب «عبد السـلام باشا» فى عمله، الذى كان يُعـد فى عيون الجميع بطلا من قريتهم صنع بشـجاعته مثلا أعلى لشباب «شبراتنا» وعزوة وطنية عاشوا فى ظلها.

وانتهت إجازة «سـعد الشـاذلى» دون أن يعـرف بنتيجة المحاكمة التأديبية لعمه ليعود إلى دراسته فى القاهرة قلقا حول المصير المجهول الذى ينتظر «عبدالسلام باشا» ، كل ذلك كان يدفع بالطالب «سعد الشاذلى» أن يعبرعن إحساسـه وغضبته الوطنيه بمشـاركته فى مظاهرات الطلبة ضد الاحتلال والسلطات الموالية له حتى أصبحت السياسة هوايته،وهو يسـتعجل الأيام أن تمر لتأتيه بالإجازة التى سـيعود فيها إلى مجالس الكبار فى بيت والده ليحكى لهم عن دوره الجديد فى مظاهرات القاهرة.

ودارت أيام الدراسة دورتها لتأتيه بأيام الإجازة التى كان يترقبها، وما إن وصل «سعد الشاذلى» إلى بيت والده حتى وجد نفس المشهد ونفس الزحـام الذى شـاهده من قبل، جمع مـن الحاضرين يتوسـطهم عمه «عبد السـلام باشـا»،هذه المرة كانوا يتفحصون أوراقا هامـة ويتبادلونها بفرحة

فيما بينهم، وعمه يروى لهم مزهوا - كعادته مفاجآت محاكمته التأديبية.

كانت المفاجأة أنه بعد استعراض «عبد السلام باشا» أمام مجلس التأديب للحجج والبراهين التى تؤيد وجهة نظره فى انحيازه لصالح بلاده، إذا بالمجلس التأديبى يبدى إعجابه الشديد بآرائه، ويشيد بوطنيته حتى أعلن المجلس التأديبى اقتناعه الكامل بوجهة نظر «عبدالسلام باشا»! ولم يكتف المجلس بتبرئته بل ترجم إعجابه بوطنيته فى حيثيات الحكم الصادر لصالحه فى أوراق رسمية وزعها « عبد السلام باشا» على الحاضرين ليقرأوها فى سابقة هى الأولى من نوعها وشعور بالفخر يلف الجميع.

الشاذلى يعيد إلى عائلته شهرتها العسكرية

كان لهذه الواقعة أثر عظيم فى نفس «سعد الشاذلى» ولم تفلح السنوات التالية التى قضاها فى دراسته الثانوية أن تمحو تأثير هذه الواقعة من ذاكرته، وتمنى وقتها لو يُسعده المستقبل بمنصب كبير يقابل موقع عمه «عبد النلام باشا» لينال شرف البطولة فى نصرة وطنه وينال من ورائها شعبية خاصة بين أهل بلدته وعشيرته فى «شبراتنا».

ونجح بالفعل الطالب «سعد الشاذلى» أن يحقق أول خطوة لطموحاته بنجاحه فى الحصول على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة) ليفسح بنجاحه مكانا مميزا فى قلب والده الذى تحمس لالتحاقه بالكلية

الحربيــة مصنع الرجــال وطموح الأبطــال، يدفعه الأمل فــى أن يصبح ابنه « ســعد» يوما ما واحدا من هؤلاء الأبطال العسكريين الذين يغيرون ببطولاتهم تاريخ الشعوب والبلاد، وترجم والده فرحته بإسراعه بتسديد مصروفــات الالتحــاق بالكلية الحربيــة والتى كانــت مرتفعة فى ذاك الوقت، مكافأة لابنه «سعد» الذى أعاد لعائلته صلتهم بالحياة العسكرية من جديد، والتى كانت قد انقطعت بانكســار ثورة عرابى وســقوط مصر تحت الاحتلال البريطاني. وأصبح «الشاذلى» أصغر طلاب الكلية الحربية فى ١٩٤٠م وعمره ١٧ عاما. ليقضى عاما ونصف العام فى دراسته بالكلية الحربية حتى تخرج منها فى عام ١٩٤١م برتبة ملازم.

ونجح الملازم «ســعد الشــاذلى» أن يحظى بشــهرته العسكرية بعد تخرجه عندما واتته الفرصة التى شارك فيها مقاتلا فى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م مع القوات المصرية والبريطانية فى مواجهة القوات الألمانيــة فى الصحراء الغربية بمصر، وعندمــا صدرت الأوامر للقوات المصرية والبريطانية فى هذه المواجهة بالانســحاب شارك «الشاذلى» مع الضبــاط والجنود فــى تدمير المعدات المتبقية فى وجــه القوات الألمانية المتقدمــة آنــذاك، وكان لهذا الحــدث صدى كبير فــى الجيش المصرى جعلت «الشاذلى» يضع أقدامه على أول طريق شهرته العسكرية مع أول حرب شــارك فيها بعد التخرج، فى أول تواجــد له فى ميدان القتال.

فماذا كان ينتظر الملازم«سعد الشاذلى» فى مشواره العسكرى القادم؟

«الشاذلى» ضابطا بالحرس الملكى

تعتبر مرحلة الأربعينيات من المراحل الهامة فى الحياة العسكرية والخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى»، ففى عام ١٩٤٣م التحق بالحرس الملكى - مشاة - منتدبا من القوات المسلحة مع النخبة المتميزة من الضباط المكلفين بحماية (الملك فاروق) وحماية القصور الملكية والحفاظ على أمنها فى الفترة من ١٩٤٣م : ١٩٤٩م حدث خلالها الكثير من الأحداث السياسية تزامنت مع تطورات أخرى فى الحياة الخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى».

فعلى الجانب الشخصى وتحديدا فى منتصف الأربعينيات بدأ «الشاذلى» حياته الزوجية مع زوجته (زينات السحيمى) التى تنحدر من عائلة عسكرية، فوالدها هو متولى باشا السحيمى الذى كان مديرا للكلية الحربية آنذاك، وأشقاؤها الضباط محسن متولى فى سلاح الحدود، و فايز متولى بسلاح الإشارة، وسعد متولى الذى أصبح كبير الياوران فيما بعد.

بدأ الملازم أول « سعد الشاذلى» حياته الزوجية بمسكنه بحى العباسية، مجاورا زميله الضابط جمال عبد الناصر فى نفس العمارة التى ضمت أسرتيهما معا، وأنجب «الشاذلى» خلال السنوات الأولى

من زواجه طفلته الأولى (شـهدان) وبعد ثلاث سـنوات جاءت (سامية) وفرح «الشاذلى» بزيادة عدد أسرته بزهرتى عمره (شهدان وسامية).أما زوجته (زينات) فكانت تتمنى لو أسعدتها الأيام بإنجاب الولد، وكانت تخشى ألا تحقق لها الأيام أمنيتها، ودفعها الأمل فى تحقيق أمنيتها إلى تكرار محاولة الإنجاب للمرة الثالثة، واختارت للمولود المرتقب اسم (طارق) وأعدت ملابسه وترقبت وصوله حتى جاءت اللحظة المرتقبة.

وبينما كان «الشـاذلى» يستقبل المهنئين بميلاد مولوده الثالث كانت زوجتـه «زينات» تبكـى حظها العثر الذى لم يأتهـا بمولودها طارق، وجاءت بدلا منه مولودتها (ناهد) ليرتفع بمجيئها عدد بنات «الشاذلى» إلى الرقم ٣ (شـهدان وسامية وناهد)، وتجاوز «الشاذلى» الأب بفرحته وفكره الواسـع كل العـادات القديمة فى تمييز الصبيـان عن البنات، وحاول أن يسـاعد زوجته فى التغلب على حزنها، فوعدها أن يُنشـئ بناته تنشـئة خشـنة ويقوم على إعدادهن إعداد الرجال، حتى تحظى زوجته فى المستقبل بثلاث نساء يحملن صفات الرجال التى تمنتها فى الولد الذى لم تسـعدها الأيام بإنجابه،فحرص «الشـاذلى» على تدريب بناته على الاعتماد الكامل على أنفسـهن فى مواجهة صعوبات الحياة ليسلكن مسلك الرجال عندما يشتد عودهن للحياة.

وفى منزلهم بالعباسـية عاشـت أسرة «الشاذلى» سـنواتها الأولى، وربطت بينها وبين أسرة جارهم الضابط (جمال عبد الناصر) الذى كان

يقطن الطابق الأعلى علاقات طيبـــة بعدما تقاربت أعمار الصغار (أبناء الشاذلى وأبناء عبد الناصر) وتزاملوا فى دراساتهم فى مراحل تعليمهم المختلفــة وزادت روابــط الجيرة مــن توطيد العلاقات بين الأســرتين.

(رواية شهدان الشاذلى)

الشاذلى يكشف أسرار حرب فلسطين

فى القصر الملكى، حيث عمل الملازم أول «ســعد الشــاذلى» وتحديدا فى نوفمبر١٩٤٧م، كانت أجواء القصر يشوبها بعض القلق والتوتر بعد إعلان الأمم المتحدة عن تقسيم فلسطين، وكان لهذا الإعلان وقع المفاجأة الصادمة لكل الــدول العربية ومصر، فبادر الملك فــاروق بالدعوة لعقد مؤتمر عربى يضم ملوك ورؤســاء الدول العربية فى منطقة (أنشــاص) بمصر، واتفقوا فى المؤتمر على إرسال كتائب عربية موحدة من جيوش الدول المشــاركة (العراق، الأردن، ســوريا، السودان، لبنان، مصر، اليمــن، وباقى الدول العربية) لإرســالها لقتال اليهود فى فلســطين تعبيرا عن رفضهم لقرار التقســيم اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٤٨م، ووقتها وحــدت حرب فلســطين بين العرب فى أروع صــور الوحدة وراء هدف واحد هو القضاء على اليهود فى فلســطين، وتصورت القيادات العربية واهمة فى ذاك الوقت بحساباتها النظرية ،أن النصر للعرب لا محالة، إذ كانــوا يعتقدون وقتها بأن اليهود فى فلســطين مجرد عصابات يمكن للجيوش العربية إبادتها عند أول مواجهة وبأدنى خسائر.

وفورعلم الملازم أول «سعد الشـاذلى» بقرار مشاركة مصر فى حرب فلسطين، أسرع بمقابلة عاجلة مع (القائمقام) العقيد حلمي عبد الرحمن رئيس الحرس الملكى، ولكن لم تمض من المقابلة إلا لحظات حتى ارتفع صـوت العقيد حلمي عبـد الرحمن ينهـر «الشـاذلى» ويعنفه، فخرج «الشاذلى» من مكتبه وأمارات الغضب تعلو وجهه فما الذى حدث أغضب الاثنين الشاذلى والعقيد حلمي؟

كان العقيد حلمي عبد الرحمن قد فوجئ بأن «الشاذلى» بدافع الحمية العربية طلـب إعفاءه من الخدمة فى الحرس الملكى ليذهب متطوعا مع القوات المصرية للحرب فى فلسطين، فرفض العقيد حلمي مطلبه وعنفه خوفا عليه، إذ كيف لضابـط فى مكانه المميز بالحرس الملكى أن يطلب الاستقالة من موقعه ليواجه أهوال الحرب والموت المحقق وسط نيرانها فى فلسطين والتى لا يعلم عواقبها إلا الله تعالى.

فأصاب «الشـاذلى» الإحباط ،بعد رفض مطلبه الذى أضاع منه فرصة بطولتة المرتقبة التى كان يتمنى أن يحققها فى فلسـطين، لكنه فوجئ بعد هذه المقابلة بسـاعتين بأن رئيس الحـرس الملكى يعلن عن موافقة (الملك فاروق) بانضمام سـرية من الحرس الملكـى إلى الجيوش المصرية المحاربة فى فلسطين فكانت مفاجأة رائعة «للشاذلى» لم يصدق لحظتها أن أمنيتـه التى فقد الأمل فى تحقيقها منذ سـاعات قد عادت لتتحقق بأسرع مما توقع! وصدرت الأوامر بتجهيز سرية ملكية متطوعة خلال ثلاثة أيام فقط، وقام الشـعب المصرى بتوديعها فى موكب اسـتعراضى

رائع، جابت فيه السرية الملكية شوارع القاهرة من ميدان عابدين حتى محطة القطار الذى سيقلهم إلى فلسطين.

أسرار هزيمة الجيوش العربية فى حرب فلسطين

وفــى ميدان القتال هناك فى فلســطين، وأثناء معركة دير ياســين ومعركة نيتا ليم، فوجئ «الشــاذلى» والجيوش العربية المشــاركة بعدم التكافؤ بين القوات العربية وقوات اليهود، وعكس توقعاتهم اكتشــفوا أن جيــش اليهود أقوى من الجيوش العربية مجتمعة والتفاوت بينهما هائل فى العُدة والعدد، وكانت المفاجأة أشد على «الشاذلى» عندما اكتشف فى ساحة القتال أن ما تعلمه فى الكلية الحربية كان تعليما نظريا على الورق، لم يتــدرب فيه على القتال بما يكفى مواجهته لليهود فى هذه المعركة، حتى الأسلحة العربية كانت بدائية مقارنة بأسلحة اليهود، ذلك بالرغم من تميز العرب بســلاح الطــيران وافتقاد الجيش اليهودى له، إلا أن التفوق فى هذه الحرب كان لليهود.

وعاد الشاذلى من فلسطين حزينا، يستعيد فى ذهنه تفاصيل المعركة وانشــغل عقله بمزيد من التحليل لأســباب الهزيمــة التى أرجعها إلى الخبرة القتالية التى اكتســبها جيش اليهود من اشتراكهم مع جيوش الحلفــاء فى الحــرب العالمية الثانية بهدف التدريــب العالى فتوافرت لديهم قدرات قتالية عالية لم تتوفر لجيش العرب، فكانوا يستخدمون

نظامــا قتاليــا منظما لم تتدرب عليــه الجيوش العربية مــن قبل، إلى جانب أسلحتهم ومعداتهم القتالية الحديثة، كما توافرت لهم الدراسة الكاملــة الدقيقة لإمكانيات الخصم العربــى الضعيف فى ذاك الوقت، لكل هذه الأسباب كان النصر والغلبة لليهود فى حرب فلسطين ١٩٤٨م.

إلى جانب أن الــدول العربية كانت وقتها تحت الاحتلال الأجنبى الذى وضع قيودا عليها، وانعكست هذه القيود على إعدادها لجيوشها، فانحصــرت مهمة الجيــوش العربية داخــل بلادها لحمايــة الحكام والأنظمــة الحاكمــة فقط ولم تكــن مهمتها الحروب مــع دول أخرى، وبالتالى لم يتم إعدادها الإعداد اللازم لمثل هذه المواجهات الشرســة فى الحــروب، بالإضافــة إلى أن الدول العربية كانــت تعتمد فى حصولها على الســلاح بنسبة كبيرة من السوق السوداء التى كانت تبيع مخلفات الحروب أيا كانت حالة الأســلحة المباعة، ولم يكن للمشــترين العرب الحق فى تجريب هذه الأســلحة لاختيار الأفضل من بينها، وفى نفس الوقت لم يكن أمامهم بدائل أخرى فكانوا مضطرين لشراء المعروض منها مهما كانت حالته، هذه الأســباب كانت وراء ما أشــيع حول الأسلحة الفاســدة التى كان فيها قدر كبير من المبالغــة فكيف للعرب بما كانوا عليه أن يأتوا بالنصر فى حرب فلسطين آنذاك؟

وانتهى عمل النقيب «ســعد الشاذلى» فى الحرس الملكى مع نهايات عــام ١٩٤٩م، ليبدأ مــع حلول أوائل الخمســينيات مرحلة جديدة من حياته العسكرية قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.

الشاذلى يرتب مع عبد الناصر لثورة يوليو:

كانت علاقـــة الجيرة التى جمعت بين «الشـــاذلى» وعبد الناصر فى عمارة واحدة بحى العباســية بالقاهرة قد قربت بينهما المسافات، وكذا تزاملهما فى التدريس بمدرســة الشـئون الإدارية بالقوات المســلحة، واهتمامهما المشـترك بالقراءات السياسية لكبار الكُتاب . وكانت مصر فى هــذه الآونة تموج بأحداث عنيفة منها حريــق القاهرة، الذى أدى إلى زيادة العنف والاضطراب فى الشــارع المصرى وأشعل بدوره الغضب فــى نفوس المصريين، وأصبحوا رافضين ما يدور فى وطنهم من ظلم وفى نفس الوقت غــير قادرين على تغييره، و كان «الشــاذلى» وعبد الناصر يعيشــان نفس مشــاعر الغضب التى كانت تعيشها مصر كلها، وبسبب الثقة التى كانت بين «الشــاذلى» وعبــد الناصر صارحه عبد الناصر بأنه يرتب مع ضباط التنظيم السرى (تنظيم الضباط الأحرار) لثورة قد تكون ســببا فى تغيير التاريخ فى مصر، فتحمس «الشــاذلى» للانضمام إليهم وكان يحضر اجتماعاتهم السرية ويرتب معهم خطوات تنفيذها، إلا أن ظروفه الدراسية وقتها حالت دون مشاركته فى قيام ثورة يوليو بسبب الــدورة التدريبيــة التــى كان يتلقاها فى كلية أركان حرب وللأســف تزامنت مع قيام الثورة.

وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م بــدأت مصر عهدا جديدا، ووقتهـا طلب عبــد الناصــر من «الشــاذلى» أن يتولى رئاســة جهاز المخابــرات، لكن

«الشـــاذلى» رأى أن موقعه فى الجيش كان يناسـب طموحه العسكرى، وكان حبة للخدمة فى صفوف الجيش لا يعادله أى منصب.

وانتقل كل منهما (عبدالناصر والشـاذلى) بأسـرته إلى مسـكن آخر تاركـين وراءهما ذكرياتهما التى جمعتهما فى حى العباسـية، وظلت صداقتهما ممتدة تحمل فرص تعاون مرتقبة فى المستقبل القريب.



الشاذلى قائدًا لكتيبة المظلات

كان الرائد « سعد الشاذلى» طموحا فى عمله ،يتمتع بعقلية إبداعية متفـردة كانت تقـوده دائمـا إلى التميز، لهذه الأسـباب جاء ترشـيحه للسـفر إلى الولايات المتحدة عـام ١٩٥٣م ليتلقى هناك دورة تدريبيــة فــى المظلات لم يسـبقه إليهــا إلا الضابط حســن فهمى عبد المجيــد، فجاء هذا الاختيار موافقا لطموحات «الشــاذلى» فى التعرف إلى المجتمع الغربى، وهنــاك لم يجد صعوبة فى التكيف مع المجتمع الأمريكى إذ كان وقتها مجتمعا بسيطا يستوعب الغرباء مما سهل على «الشــاذلى» أن يقطع رحلته التعليميــة بنجاح - دورة القفز بالمظلات - التى وافقت شـغفه بالمخاطرة وركوب الخطر، فالقفز بالمظلات مخاطرة جسـيمة والمهمة فيها انتحارية يهبط فيها فى عمق أرض العدو لتنفيذ مهمة تدميرية هناك مدتها ٢٤ سـاعة فقط، ويعتمد خلالها على نفسه اعتمــادا تاما حتى تلحق به قواته البريــة، وقد يتعرض خلال مهمته لمخاطـر كثيرة، فقد يتم ضرب الطائرة التى سـيهبط منها قبل هبوطها فى أرض العدو، وقد لا يتمكن من فتح المظلة أثناء هبوطها، وقد يتأخر وصول القوات البرية إليه فلا تصل فى الوقت المناسب فتنفد منه الأغذية والذخـيرة فيواجه وحده مصيرا مجهولا على أرض العدو، وقد يقع فى

يد العدو فيأسره أو يقتله، وغيرها من المخاطر التى ترفع نسبة المخاطرة في سلاح المظلات، لذا كانت دورة المظلات تجربة مثيرة للرائد «سعد الشاذلى» في ذلك الوقت. بعدها عاد «الشاذلى» من أمريكا ليؤسس أول مدرسة للمظلات في الجيش المصرى وتولى قيادة أول كتيبة منها فى عام ١٩٥٤م.

الأقدار تفوت على «الشاذلى» فرصة القفز بالمظلات:

وتوالت الأحداث لتواجه مصر حرب العدوان الثلاثي من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل في عام ١٩٥٦م التى جاءت رد فعل مباشر لقرار تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦م انتقاما من عبد الناصر! وكان المقدم «سعد الشاذلى» وقتها قائدا لكتيبة ٧٥ مظلات، وصدرت الأوامر العسكرية أن يستعد سلاح المظلات للهبوط في سيناء خلف العدو وقت الفجر، وبينما كان «الشاذلى» يستعد للإقلاع سبقته قوات العدو وضربت مطاراتنا المصرية بما فيها الطائرة التي كانت ستحمل «الشاذلى» إلى أرض العدو لتنتهى بذلك مهمته قبل أن تبدأ، وأصبح لزاما عليه أن ينضم إلى سلاح المشاة ليتحول دوره إلى صد العدو ومنع دخوله مدينة السويس.

وبانتهاء حرب ١٩٥٦م انتهت مرحلة هامة من الحياة العسكرية للمقدم «سعد الشاذلى» ليبدأ بعدها مراحل أخرى جديدة أكثر أهمية

تزامنت مع التغيرات فى العلاقات السياسية بين مصر والدول العظمى. فبعدمـا أدرك الرئيس عبدالناصر أن حصوله على الأسـلحة لن يتم من خلال أمريكا حليفة إسرائيل، اضطر إلى الاستعانة بالاتحاد السوفييتى فى تسـليح الجيش المصرى وتدريب قادته تنفيذا لسياسة تنويع مصادر الأسلحة.

بعثة دراسية للشاذلى فى روسيا

تقرر سـفر المقدم «سـعد الشـاذلى» فى ١٩٥٨م فى بعثة دراسية إلى الاتحاد السـوفييتى لدراسة العلوم العسـكرية الحديثة هناك ليعكس التعاون العسـكرى الجديد بين مصر وروسـيا. فماذا وجد من فرق بين تدريـس العلوم العسـكرية فى الاتحاد السـوفييتى للعـرب عنها فى أمريكا؟ يجيب «الشاذلى» عن هذا السؤال فى واحد من حواراته المسجله فيقول:

«فى دراسـتى للمظلات فـى أمريكا كنت الضابـط المصرى والعربى الوحيـد بين الدارسـين من جنسـيات أخـرى، وكانت هنـاك بعض المحاضـرات لايسـمح لى بحضورها لأنى عربى، بعكـس ما حدث مع الاتحاد السـوفييتى فكان الفارق كبيرا إذ تعددت بعثاتنا إلى روسـيا، وكانـت البعثة الواحدة لا تقـل عن ١٠٠ دارس مصـرى (فصل كامل) وكلهـم من القادة العسـكريين فى الجيش المصرى، وفـى نفس الوقت

كانت مصر تستقبل بعثات الخبراء العسكريين الروس ممن يتولون إعداد قادة الجيش فى مصر، وكانت هذه البعثات تعالج مشاكل عليا فى تنظيم قواتنا المسلحة بفروعها، وكذلك كانت جدية روسيا فى تقديم خبراتها ونظرياتها العسكرية الحديثه يعكس جديتها فى مساعدة مصر، ولكن هذه المساعدات كانت تتم كلها فى إطار الفكرالعسكرى المصرى والتنظيم المصرى وكل ما يتعلق بجيشنا كان مصريا متأثرا فقط بالخبرات والنظريات الحديثة للسوفييت، حتى استطاعت مصر أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة».

هذا على مستوى الحياة العسكرية للشاذلى، ولكن كيف كان يعيش حياته الخاصة مع أسرته فى بيته فى هذه الآونة؟



ثلاثة رجال فى بيت «الشاذلى»

كانت الشخصية العسكرية للمقدم «سعد الشاذلى» تنعكس على كل جوانب حياته حتى فى بيته ومع أسرته، فلم ينس وعده لزوجته أن ينشئ بناته الثلاث (شهدان وسامية وناهد) تنشئة خشنة، لتحمل شخصياتهن بعض صفات الرجال عوضا عن ولد واحد تمنت زوجته إنجابه يوما ما، فحرص على إعداد بناته للحياة إعدادا خاصا يسمح لهن باكتساب مهارات مختلفة عن أقرانهن من البنات، فرأى أن تزويدهن بكل المهارات الممكنة سيعينهن على مواجهة الصعوبات التى قد تعترض طريقهن فى رحلة الحياة معتمدين على أنفسهن حتى يكتسبن شجاعة الرجال، فعلمهن الدفاع عن أنفسهن وقت الخطر، وتدبير أحوالهن دون اللجوء إليه حتى فى أبسط الأمور! فكان يتخلى عنهن فى مواقف كثيرة فى محاولة لإجبارهن على الاعتماد على أنفسهن دون الاعتماد على رتبته العسكرية لتذليل عقبات قد يتعرضن لها.

وتحكى ابنته شهدان الشاذلى عن علاقة «الشاذلى» الأب ببناته فتقول:

«حدث بعدما تسلمت أختى الوسطى (سامية) شهادتها الإعدادية أن اكتشفت خطأ فى اسمها المطبوع فى الشهادة، فطلبت من والدى

أن ترافقها إلى مدرستها ليساعدها في إجراءات تصحيح اسمها في الشهادة ولكن أبي رفض مطلبها وتركها تنهي وحدها الإجراءات الطابورية التي امتدت لأيام، وكان في إمكانه أن يصحبها من أول يوم او استجاب لطلبها وذهب معها، ولكنه تعمد رفض مطلبها حتى تعتمد (...امية) على نفسها في كل شيء.

وحرص منذ طفولتنا الأولى أن يدربنا على التخلي عن مظاهر الحياة المترفة، ويعلمنا تحمل مسئولياتنا الشخصية كاملة منذ الصغر، حتى إن المصروف الشهري لكل منا كان يشمل (انتقالات، ملابس، فسحة، مجاملات الصديقات، مصروفات الدراسة و...) فإذا ما أسرفت إحدانا في إنفاق مصروفها الشهري، فعليها وحدها تدبير أحوالها لآخر الشهر دون مساعدة من أحد أو زيادة في المصروف تعوضها عن خسارتها.

وأصبح بيتنا تحت إدارة أبي الدقيقة وكأنه ثكنة عسكرية، كل شيء يدور داخله بدقة محسوبة وللوقت قيمة كبيرة، وكان أبي يفاجئنا في كثير من الأحوال بتفتيش دواليب ملابسنا لمراجعة ترتيبه وتنظيمه وكذلك كتبنا وأدواتنا الدراسية، يراجع كل شيء ويحاسب على التقصير تماما كما كان يفعل مع جنوده، فإذا ما وجد أي مخالفة لتعليماته التي وضعها لإدارة البيت يكون العقاب فوريا بحرماننا من لقائنا الأسبوعي بصديقاتنا.

وعلى هذا النحو أصبح «الشاذلى» الأب لا يختلف عن «الشاذلى» الضابط، فكان يضع لكل شىء يخص أسرتنا خطة دقيقة لتنفيذها حتى فى قضاء إجازتنا الصيفية فى الإسكندرية التى كان يحرص على أن يقضيها معنا، وكان يوزع مهام إتمام السفر فيما بيننا، ما بين مسئولة عن حقائب السفر، وأخرى عن الاتفاق مع السيارات التى ستنقلنا إلى الإسكندرية، وأخرى تسبق الأسرة للإشراف على تجهيز وإعداد مكان الإجازة، وهناك كان أبى يضع خطة دقيقة تسمح باستغلال الوقت الاستغلال الأمثل ما بين تدريبنا على الرماية باستخدام بنادق الرش، وبين المسابقات التى كان يجريها فيما بيننا فى الجرى والسباحة وسباق الدراجات.

وتستطرد شهدان الشاذلى فى روايتها فتقول:

لم يغفل والدى أن يقيس مهاراتنا فى طهى الأطعمة داخل مطبخنا وذلك برغم وجود الخدم والمساعدين بالبيت، فكان يجرى فيما بيننا مسابقات الطهى فإذا ما وجد أن الوجبة موضوع الاختبار تفتقر للمذاق المناسب يوقع الجزاء بالحرمان من الفسحة الأسبوعية، وأضافت الأم إلى ثلاثتنا (شهدان وسامية وناهد) الكثير من المهارات النسائية فى الاهتمام بأناقة المظهر ومهارات الضيافة ومسايرة الحياة الاجتماعية وتعلم الموسيقى والباليه.

وكانـت لوالدى القدرة على استشـراف المسـتقبل، فلمـا وجد أن المؤشـرات الدولية تنبئ بأن دولة ألمانيا قد تصبح فى المسـتقبل القريب قلعـة للصناعة الأوربية فى ذاك الوقت، اختار لثلاثتنا التعليم الألمانى لمواكبة ما سـيجد فى سـنواتنا المقبلة من تحديات، وكانت مدرسـتنا الألمانية فى حى باب اللوق وسـط البلد، فـكان والدى يطلب من كل منا تحديد الوقت الذى سنسـتغرقه فى الذهاب إلى المدرسـة بدقة، فإذا ما جاء يوم الامتحان وصلنا فى الوقت المناسب إلى المدرسة دون تأخير» إلى هنا انتهت رواية شهدان الشاذلى ولكن لازال فى حديثها رواية أخرى عن تجربتها الخاصة التى أرجعت الفضل فيها لوالدها.

من أجل ابنته: الشـاذلى ينشئ أول مدرسة لتعليم الفتيات القفز بالمظلات

ونقلا عن رواية أخرى لشهدان الشاذلى جاء فيها:

إن أسـرة الشـاذلى (زوجته وبناته) حضرن الاحتفال الذى أقيم فى منطقة السـباق بمصر الجديدة وذلك فى نهاية الخمسـينيات، وعندما لاحظ «الشـاذلى» الأب بذكائه انبهار ابنته (شـهدان) ابنة الخامسـة عشرة (بخارقة) قفز الجنود بمظلاتهم فى الهواء وهبوطهم على الأرض فسألها وقتها إن كانت ترغب فى تعلم القفز بالمظلات، فأصابها الإبهار مـرة أخرى من أن أمنيتهـا يمكن أن تتحول إلى حقيقـة فأجابت على الفور: ياريت. بالرغم من أنها كانت وقتها تهوى الباليه.

ولأن «الشــاذلى» كان يتميز بقدرتــه الخاصة على تحويل الفكرة إلى واقع ملموس بأســرع مما يتوقع الجميع، استطاع أن ينشئ أول مدرسة للبنات لتعلم القفز بالمظلات وكان وقتها قائدا لمدرســة المظلات بالقوات المســلحة. وكانت شــهدان وقتها تلميذة بالمدرســة الألمانى، حين عاد إليها والدها بعد أيام قليلة ليفاجئها بأن حلمها البعيد بالقفز بالمظلات سيصبح بعد أيام حقيقة وأنها ستقفز يوما بمظلتها من الهواء إلى الأرض كما تمنت، وعليها أن تجهز نفسها خلال ٢٤ ساعة للالتحاق بمدرسة المظلات، وأوصاها أن تســارع بالحصول على أســبوع إجازة من المدرسة للإعــداد والتدريب، ولكن مديرة المدرســة وقتها رفضــت الموافقة على إجازة شــهدان ورفضت أيضا التحاقها بمدرسة المظلات لخطورتها على البنــات، وكانت هذه هى المرة الأولى التى اضطر فيها «الشــاذلى» الأب إلى التدخل لتســهيل حصول ابنته على إجازتها المطلوبة وســاعدها فى إقناع مديرة المدرســة بمساواة البنت والولد فى كل شىء حتى فى القفز بالمظــلات وهكذا حصلت ابنتــه على الإجازة، وكان فــى ذلك محاولة جريئــة من الشــاذلى أعلن فيها عن مقاومته للتمييــز بين الولد والبنت والذى كان سائدا فى المجتمع المصرى آنذاك.

كانت شــهدان هى أصغر البنات السبعة اللاتى دخلن عالم المخاطرة والمغامرة فى مدرسة القفز بالمظلات، وأخفى «الشاذلى» الأمر عن زوجته حتى لايصبح خوفها على (شهدان) عائقا يحول دون تحقيق حلمها فى تعلم القفز بالمظلات.

ولما بدأت شهدان تدريباتها مع تجربة القفز فى الهواء شعرت بالمسافة الكبيرة بين الحلم والحقيقة، ففى كل مرة كان خوفها من النتائج يزداد عن المرة التى تسبقها، ووالدها من ورائها يدفعها ويشجعها حتى تغلبت على الخوف وتعلمت الحذر والدقة فى حساب المسافات أثناء هبوطها فى الهواء، كيفية حماية جسمها من الصدمات لحظة نزولها على الأرض، والطريقة المُثلى فى تجميع أطراف مظلتها وتفاصيل أخرى كثيرة ومثيرة، جعلتها تعيش تجربة خاصة ومميزة، كان الفضل الأول فيها لوالدها «سعد الشاذلى».

وفى ذكرى الاحتفال بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٦٠م، كان الاحتفال بتخريج أول فرقة لبنات المظلات بحضور الرئيس جمال عبد الناصر، وفى لحظة فخر أمام والدها وأسرتها ورئيس الجمهورية قفزت (شهدان) على أرض نادى الجزيرة من ارتفاع ١٥٠٠ متر لتصبح بذلك أول فتاة عربية تقفز بالمظلات، وحظيت يومها بمصافحة الرئيس عبدالناصر الذى قام بتسليمها نوط التفوق، جائزة خاصة لتجربة فريدة فى مشوار حياتها، ولولا ثقافة «الشاذلى» الأب وفكره المميز الذى تجاوز به تقاليد عصره، وقدرته الخاصة على تحويل الأمانى إلى واقع، ما حظيت (شهدان) من بين بنات عصرها بتلك التجربة الفريدة التى تمت بحماس والدها «سعد الشاذلى» الذى كان حالة خاصة جدا من الآباء

الشاذلي يحدث أزمة دبلوماسية في الكونغو

استطاعت مصر بمساعدة السوفييت أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة أشعرت الرئيس عبدالناصر بقدرته على مواجهة التحديات الخارجية خاصة بعد أن نال شهرة كبيرة في زعامته للأمة العربية بعد مساندته للثورات التحررية في الدول العربية وكذا الدول الإفريقية والتي كان من بينها الحركة التحررية في الكونغو برئاسة (باتريس لومومبا) عام ١٩٦٠م.

ومن أجل مساندة مصر لشعب الكونغو في حركته التحررية، تم تشكيل كتيبة عربية شاركت فيها الدول العربية لتنفيذ قوام قوات الأمم المتحدة لمساندة ثورة (لومومبا) هناك، واختار الرئيس عبدالناصر وقتها العقيد «سعد الشاذلي» قائدا للكتيبة العربية، لكفاءته وحيازته ثقة الرئيس عبد الناصر في أدائه.

وهناك تمركزت الكتيبة العربية في منطقة (ليبنغي) وهي منطقة مهجورة في أقصى الشمال الغربي للكونجو، وتبعد عن العاصمة (كنشاسا) ١٠٠٠ كم، وتبعد عن مصر ٣٠٠٠ كم. وكانت الكتيبة العربية بقيادة العقيد «الشاذلي» مسئولة عن حماية مساحة ضخمة تعادل دولة سوريا تقريبا. ولم يكن «الشاذلي» يدرك وقتها أن تجربته في الكونغو ستجلب إليه الكثير من المتاعب والمفاجآت فيما بعد.

مفاجأة رائعة من الرئيس عبدالناصر

كانـــت أولى مفاجآت الكونغـــو هى صرف ٥٠ ألـــف دولار للكتيبة العربية وإيداعها باســـم العقيد «سعد الشـــاذلى» فى أحد بنوك الكونغو بأمر من الرئيس عبدالناصر لينفق منها «الشاذلى» على الكتيبة العربية هناك دون أدنى قيود تحســـبا لأى ظروف قد تطـــرأ عليه، وذلك برغم أن «الشـــاذلى» كان قد قام بتجهيز الكتيبـــة المصرية تجهيزا دقيقا بكل شيء، والأمم المتحدة تحملت كل نفقات الإقامة والانتقالات ولم يكن فى حاجة لهذا الدعم المادى إلا إنها كانت لفتة تعكس مدى حرص الرئيس على الكتيبة العربية وتعكس أيضا ثقة الرئيس الخاصة وتقديره للعقيد «سعد الشاذلى».

وكانـــت تجربة «الشـــاذلى» فـــى الكونغو تجربة ثريـــة وعلامة فى مشـــوار حياته العســـكرية عرف فيهـــا الكثير بالاحتكاك المباشـــر مع القوات الأجنبية هناك، وتعرف على إمكانياتهم العسكرية وأسلحتهم الجديدة وتفكيرهم العســـكرى، ولكن علـــى الجانب الآخر كانت هناك الكثـــير من المتاعب التى كان عليه مواجهتها. وكانت أولى هذه المتاعب زيارة العميد (أحمد إسماعيل على) للكتيبة العربية هناك بحجة تفقد أحـــوال الكتيبة العربية والتعرف إلى مطالب الرئيس (لومومبا)، لكنه انتهزهـــا فرصة للتدخل فى عمل العقيد «الشـــاذلى» متخـــذا من رتبته العســـكرية الأعلى من رتبة «الشاذلى» ســـبيلا للتدخل فى عمله، فكان

الصدام عندما اعترض «الشاذلى» على تدخله ورفض توجيهاته، واتصل بالسلطات فى مصر لإبلاغهم بما حدث بينه وبين أحمد إسماعيل حتى انتهى الخلاف بعودة العميد أحمد إسماعيل ومجموعته إلى مصر، وكانت هذه الواقعة سببا فى بداية توتر العلاقة بين «الشاذلى» وأحمد إسماعيل وتركت فى نفس كل منهما أثرا سلبيا.

كيف واجه الشاذلى مأزق تغيير السلطة فى الكونغو؟

وعلى غير توقع من الجميع حدث انقلاب أطاح بالرئيس (لومومبا) الذى كانت الكتيبة العربية مكلفة بحماية ثورته ليحل محله الرئيس (موبوتو) لتتغير بوصوله إلى السلطة موازين الأمور خاصة بعدما عاد (موبوتو) للاستعانة ببلجيكا، وأسرف فى مهاجمته للرئيس جمال عبد الناصر وصرح برفضه لتواجد الكتيبة العربية على أرض بلاده (الكونغو) ووصفهم بالمستعمرين والمحتلين، وألحق الأذى بكل من كان يتقرب من الكتيبة العربية من أهل الكونغو أو يقدم لها العون والمساعدة، وأرادت السلطة الجديدة بذلك إحداث وقيعة بين شعب الكونغو وقواتنا العربية المرابطة على أرضه حتى بدا واضحا عداء الحكم الجديد لمصر.

وبالرغم من أن الكتيبة العربية أتت إلى الكونغو تحت علم الأمم المتحدة فإن العقيد «الشاذلى» لم ينس فى مواجهة هذه التغيرات أنه

تابـع للنظام في مصر ، فلما استشـعر العداء من الرئاسـة الجديدة ضد مصـر بدأ يحتاط لحماية قواته تحسـبا لما قد يجـد من أحداث، ونصح جنوده وضباطه بضبط النفس، لما رأى أن أى رد من جانب قواته العربية على استفزاز (موبوتو) ستكون نتيجته معركة سيخسر فيها «الشاذلى» ما كسبه من تأييد شعب الكونغو ومساندته للكتيبة العربية على أرضه.

اضطر «الشـاذلى» لسحب قواته العربية سـرا وبحذر شديد بمعدل ٢١ جنديـا عربيـا في كل مرة في انسـحاب سـرى تدريجي وبطيء؛ ليعسـكروا بالقرب من مطار (ليبنفى) ليسـهل إقلاعهـم في أى وقت تحسبا لتغير الظروف أوصدور أوامر بالانسحاب! ليفوت «الشاذلى» على (موبوتو) مكائده ضـد القوات العربية، إلا أن الجنرال (فينهور) قائد قوات الأمم المتحدة شـعر بتحركات قوات «الشاذلى» وعسكرتها بالقرب من المطار. فأمر «الشـاذلى» بسـحب قواتـه العربية مـن منطقة المطار وفورا، وبسـبب إحساس «الشـاذلى» بالخطر على قواته العربية رفض أوامر(فينهور) واحتـدم الخلاف بينهما (الشـاذلى وفينهور)، وأمام إصرار «الشـاذلى» وتمسـكه برأيه اضطر (فينهور) إلى تهديد «الشاذلى» بتقديمـه للمحاكمة لأنه لم يضع فى اعتباره تبعيته للأمم المتحدة بينما «الشاذلى» لم تغب تبعيته للأمم المتحدة أنه تابع لمصر ومسئول عن حماية الكتيبة العربية، وأنه الوحيد صاحب القرار السياسي والعسكرى فيما يخص قواته أثناء تواجدهم فـي الكونغو. وأمام إصرار كل منهما على

رأيـه (فينهور والشـاذلى) تصاعد الصدام بينهما فـى وقت لم تكن فيه الـسلطة السياسـية فى مصر تعلم بهذا الخلاف الـذى تصاعد ليُحدث مشكلة سياسية تطورت إلى أزمة دبلوماسية.

وأخبروا «الشـاذلى» وقتها بترتيب لقاء سيتم فى مساء نفس اليوم، يجمـع بين «الشـاذلى» وبين الممثـل المدنى للأمين العـام للأمم المتحدة (همرشـلد) بحضور د.مراد غالب السـفير المصرى هناك، والذى حضر خصيصا من (كنشاسـا) عاصمة الكونغو لمناقشة هذه المشكلة، مما أشعر «الشـاذلى» بالحرج، فما كان يريد إحراج السـفير(غالب) فى مشـكلة «الشـاذلى» هو المسـئول عنها وقادر على مواجهة تبعاتها، ولكن كانت هذه هى الترتيبات التى حددها مسئولو الأمم المتحدة.

ولـما حان وقت اللقاء وبينما كان «الشـاذلى» يرتب فى عقله الحجج والبراهـين التى سـيدافع بها عن وجهة نظره، فوجئ بأن (همرشـلد وغالب) كانت تجمعهما معرفة سابقة بالأمم المتحدة وبدلا من الحديث عن الأزمة الدبلوماسـية التى تسـبب فيها «الشـاذلى» أخذ (همرشـلد وغالب) يسـترجعان ذكرياتهما الدبلوماسية القديمة التى تركت أثرا طيبا فى نفس كل منهما وأسـرفا فى سـردها وكأنهمـا فى زيارة ودية ليس لها علاقة بمشكلة «الشاذلى» حتى طالت جلستهم قرابة الساعتين و«الشاذلى» يترقب مناقشـة الأزمة التى أحدثها، ولكن انتهت المقابلة دون أن يتطرق حديثهما(غالب وهمرشـلد) إلى مشـكلة «الشاذلى» التى أتيا لمناقشتها.

وعند انصراف السـفير غالب سـأله «الشـاذلى» بقلق عن السبب فى عدم مفاتحة (همرشـلد) فى المشـكله، فإذا به يسـتقبل قلق «الشـاذلى» بابتسامة هادئة وكأن الأمر ما كان يعنى غالب ولا همرشلد، وأخبره أن مثل هذه المشاكل تخص جهات عليا فربما تحدث فيها عبد الناصر مع همرشلد شخصيا ليتخذا بشـأنها القرار المناسـب فيما بعد، ونصح «الشـاذلى» بعدم القلق أو الاكتراث بهذه المشكلة، وانصرف تاركا «الشاذلى» مع دهشته من نتائج المقابلة.

وبالفعل بعد ثلاثة أيام حدث ما توقعه السفير غالب وصدرت الأوامر من الرئيس عبدالناصر بانسـحاب الكتيبة العربيـة من الكونغو ليلتقى بذلك القرار السياسـى لعبدالناصر مع الرؤية العسكرية للعقيد «الشاذلى» فى الانسـحاب فكانت هذه الواقعة هى أول حدث دبلوماسى كان العقيد «الشـاذلى» طرفا فيه وكان له دخل بالأمورالسياسـية بـين البلاد. وبعد ١٦٣ يوما قضتها الكتيبة العربية هناك عادت القوات المصرية بسـلاحها وعدتها وعتادها و٥٠٠ ألف دولار منحة عبد الناصر، لم يحتج «الشاذلى» أن ينفق منها شيئا وبذلك لم تتكلف مصر أى أعباء أو خسائر فى الكونغو.

وانتهت تجربة «الشـاذلى» فى الكونغو بعد أن تركت علامة مميزة فى مشـواره العسـكرى وكشـفت عن حرصه على مصـالح قواته حتى لو عرضه ذلك للمتاعب، وعاد «الشـاذلى» إلى مصر ليبدأ مهمة عسكرية جديدة فى دولة اليمن كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانه.

(من الأرشـيف الصحفى تجربة الشاذلى من حديث للعقيد الشاذلى فى مجلة المصور بعد عودته من الكونغو ١٩٦٠م).

«الشاذلى» فى حرب اليمن

فى منتصف الستينيات كان الرئيس عبدالناصر يولى اهتماما كبيرا بثوار اليمن، فكان الجيش المصرى يمدهم بالأسلحة ويتولى تدريبهم على القتال فى محاولة لمساعدتهم على التحرر. وفى مهمة عسكرية جديدة سافر العميد «سعد الشاذلى» إلى دولة اليمن آنذاك عام ١٩٦٥م قائدا للواء يتراوح عدده ما بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ضابط وجندى لمساعدة الثوار، وهناك وجد أنه أمام حرب غير متكافئة القوى، فلم يجد هناك جيشا منظما فى مواجهته لمحاربته بالأسلحة، إذ كان العدو يفتقد النظام القتالى فاكتشف «الشاذلى» أنه سيواجه حربا كانت أقرب لحرب العصابات منها للحرب المتعارف عليها بالمواجهة بالأسلحة كان العدو يلجأ فيها للحيلة لمحاربة الجيش المصرى ومقاومته ،ولجأ إلى قتل جنودنا المصريين بطرق أخرى غير المواجهه بالأسلحة، فكان يقوم العدو أحيانا بزرع الألغام فى الطرق التى كان الجيش المصرى يمر بها ليصيب منه الكثيرين، وأحيانا أخرى كان يقوم بقطع الطرق على اللوارى والناقلات التى كانت تحمل إلى الجيش المصرى الإمدادات التى كانت تأتيهم من مصر عبر جدة بالبحر حتى تصل إليهم فى صنعاء، فكان العدو يقوم بقطع الطريق عليها ويقوم بنهبها والاستيلاء عليها قبل أن تصل إلى القوات المصرية! وساعدت الطبيعة الجبلية فى اليمن العدو على تحقيق ذلك. فكانت قواتنا المصرية تواجه هناك الكثير من

المتاعب غير المتوقعة، واستنزفت حرب اليمن الكثير والكثير من عُدة وعتاد الجيش المصرى آنذاك.

وعلى الرغم مما تكبدته مصر من خسائر هائلة فى حرب اليمن فإن الفريق «الشاذلى» وجد فى تجربة حرب اليمن مكاسب معنوية كثيرة قال عنها فى إحدى تسجيلاته :

«مكاسب الحرب فى اليمن كانت مكاسب سياسية أولها سقوط نظام رجعى متخلف كان يحكم اليمن بنظام القرون الوسطى لتنتقل اليمن بتحررها إلى نظام القرن العشرين وتدخل فى النسيج العربى الحديث، ووجود القوات المصرية هناك عجل باستقلال عدن عن بريطانيا فعجل بدوره باستقلال الدول المجاورة مثل سلطنة عمان والإمارات والبحرين والكويت، وعجَّل برحيل الاحتلال البريطانى عن هذه المنطقة العربية لما وجد أن استمراره فى احتلالها سيكبده الكثير، فالمستعمر عادة يبحث عن احتلال بلا خسائر. ولم تكسب مصر من حرب اليمن أية مكاسب مادية لكن مكاسبها كانت مؤجلة، جنيناها على المدى البعيد فى حرب ١٩٧٣م عندما كانت قواتنا البحرية متمركزة عند مضيق باب المندب وساعدتنا اليمن وقتها فى إغلاقه أمام الإمدادات المارة إلى إسرائيل، ولولا رصيدنا لديهم فى حرب اليمن ١٩٥٦م ونجاحنا فى مساعدة شعبها على الاستقلال ما كان تعاونهم معنا فى حرب ١٩٧٣م وكذلك إمدادهم لنا بالمال وما حصلنا عليه من مساهمات من العرب

وصلت إلى ١٧ مليار دفعتها الدول العربية للسادات في حرب ١٩٧٣م كل ذلك كان حصاد مساندة مصر لهم في حركاتهم التحررية»

ويبقى سؤال: هل كانت هناك صلة مباشرة بين وجود قواتنا المصرية للحرب في اليمن وبين هزيمة جيشنا في حرب يونيه عام ١٩٦٧م (حرب النكسة)؟



في نكسة ١٩٦٧م
«الشاذلي» ينجح في حماية قواته من العدو

مع حلول مارس ١٩٦٧م بدأت إسرائيل تحشد قوات عسكرية بالقرب من حدود سوريا، وبالبرغم من أن التهديد جاء لسوريا وليس مصر، فإن القيادات السياسية والعسكرية في مصر أسرعت باتخاذ قرار الحرب ضد إسرائيل حماية لسوريا في وقت كان من الصعب على الجيش المصرى أن يحارب على جبهتين في وقت واحد، إحداهما في اليمن والأخرى في مصر لمواجهة إسرائيل العدو الشرس الذى يحتاج لمواجهته إلى استعدادت كبيرة ووقت كاف، ولذا لم يكن التصعيد لحرب ١٩٦٧ مدروسا دراسة كافية. وبالرغم من أن عبدالناصر كان يتمتع برؤية استراتيجية شاملة تشمل العوامل السياسية والعسكرية بكل جوانبها، فإن الصراع الخفي الذى كان يدور بين السلطة السياسية لعبد الناصر و بين عبد الحكيم عامر كسلطة عسكرية على قمة قيادات القوات المسلحة كان يؤثر بشكل كبير على القرارات السياسية في ذاك الوقت حتى كان القرار المتسرع بدخول الحرب، وللأسف لم تدرك السلطة في مصر خطأها في اتخاذ قرار الحرب إلا بعد فوات الأوان.

وجاء في الحديث المسجل للفريق «الشاذلي» عن حرب ١٩٦٧م:

إنه تلقى الأوامر بحشد القوات للاستعداد للحرب وتم دفع قواتنا إلى سيناء لتتمركز قوات «الشاذلى» فى المنطقة الشمالية من سيناء، ثم تلقى بعد ذلك بأيام أوامر بالانتقال إلى الجنوب، وبعدها بأيام أخرى أوامر جديدة بتغيير موقعه إلى موقع جديد، وبين كل موقع وآخر عشرات وأحيانا مئات الكيلومترات كان يقطعها «الشاذلى» بقواته فى صحراء سيناء ذهابا وإيابا عدة مرات؛ مما أدى إلى إهدار كبير للقوات والمعدات والوقود، وشعر اللواء «الشاذلى» وقتها بمدى التخبط فى قرارات القيادة التى كان يتلقى منها الأوامر، بعدها صدر القرار بتشكيل مجموعات للعمليات الخاصة، وكانت إحداها تحت قيادة اللواء «الشاذلى» وأطلق عليها (مجموعة الشاذلى) وكان قائده فى سيناء هو الفريق صلاح محسن، وتمركزت مجموعة «الشاذلى» فى خط المواجهة الأول مع العدو على مسافة ٢٠ كم من الحدود الدولية مع فلسطين وذلك بعيدا عن الطرق الرئيسية المرصوفة، ولم يكن لدى «الشاذلى» قوات تكفى لمهمته الخطرة حتى حدث ماحدث يوم ٥ يونيه عام ١٩٦٧م.

مفاجآت ٥ يونيه الأليمة.

فى صباح ٥ يونيه وفى السادسة صباحا حملت «الشاذلى» طائرة هليوكوبتر من موقعه فى سيناء إلى مطار فايد حيث التقى بقادة المحور الشمالى والجنوبى والأوسط فى سيناء وبعض القادة الميدانيين المعاونيين

ليلتقوا بالمشير عامر ليطلعهم على تفاصيل خطة الهجوم على إسرائيل، وبينما كان القادة في انتظار وصول المشير سمعوا دوي انفجار هائل وبعده بلحظات قليلة كان انفجار آخر فإذا بمطار فايد - المجتمعين فيه - قد تم ضربه، فاعتقدوا أن مطار فايد وحده هو الذي تم ضربه، وعرفوا أن الحرب قد بدأت في الوقت الذى كان فيه المشير عامر لازال يحلق بطائرته في الهواء ولم يصل إليهم بعد ولايوجد أى قائد من قادة الجيش في موقعه بين قواته.

ويروي «الشاذلي» عن حال جيشنا في سيناء بدون قادته في ذلك اليوم العصيب:

بعد ضرب المطارات أصبح الجيش في سيناء بدون قيادة، كأنه جسد بلا رأس، والحمد لله أن العدو لم يتسرب إليه خبر اجتماع القادة في مطار فايد، فلو علم العدو لأصابهم جميعا بضربة واحدة فيصاب جيشنا كله بالشلل التام ولأربكت المفاجأة الجميع، ولم يكن أمام القادة من خيارات إلا العودة فورا إلى قواعدهم وجنودهم في سيناء بالسيارات، ليقطع «الشاذلى» قرابة ١٢ ساعة بالسيارة في صحراء سيناء حتى وصل إلى موقعه في المحور الجنوبى المواجه للعدو قبيل المغرب. ١٢ ساعة مدة طويلة أن تقضيها قواتنا في سيناء بلا قيادة، مكشوفة للعدو في الصحراء بلا غطاء جوى والعدو يمرح في سمائنا فوقهم بطائراته ولايجد أى قوة تتصدى له حتى وجد «الشاذلى» قواته (مجموعة الشاذلى) في

حالة استنفار يترقبون وصوله بفارغ الصبر بعد أن أغارت عليهم القوات الإسـرائيلية فى أكثر من محاولة، ووقتها لم يكن لدى «الشـاذلى» أية خطـة هجوميـة يتبعها بعدما انفض لقاؤهم بالمشـير من قبل أن يبدأ، وكذا لم تحدث مناقشة لأى خطط هجومية، وزاد من الأمر صعوبة على «الشـاذلى» انقطاع اتصاله بالقيادات العليا فى سيناء ولم يكن يدرى ماذا يدور فى الأجواء من حوله.

لحظات عصيبة اعتصر قواتنا فيها القلق بعدما فقدت الغطاء الجوى الـذى من المفترض أن يحميهـا من العدو، وفقدت الاتصـال بالقيادات العليا، فلم يكن أمام «الشـاذلى» من حيلة يهتـدى بها ليعرف مايدور مـن حوله إلا الاسـتماع إلى الإذاعة المصرية ليتبـين الموقف، فإذا بكل بياناتها تبشـر بالنصر برغم الحالة المزرية التى يعيشـها «الشـاذلى» وقواتـه، فأدار المؤشـر لإذاعة العـدو ووجدها تعلن عـن بدء الزحف داخل الأراضى المصرية، واسـتمع «الشاذلى» فى ذهول إلى نداءات العدو لسكان المناطق المصرية التى اقتحموها فى سيناء تطلب منهم رفع رايات الاستسلام، فازداد «الشاذلى» قلقا عندما اتضحت له حقيقة الكارثة التى تمر بها مصر وخاصة أنه كان فى عزلة تامة عن باقى القيادات، وبحكم موقعه كان «الشـاذلى» هو الأقـرب لأرض العدو منها إلى طريق العودة، وكانـت مجموعة الشـاذلى بلا طـيران يحميها وبدون أسـلحة مضادة للطائرات تتصدى بها للعدو، وكان عدوه فى هذه اللحظات الرهيبة هو

الطيران الإســرائيلى، حاول «الشاذلى» أن يحتفظ بهدوئه حتى يتسنى له تدبير الأمــر ليتمكن من حماية مجموعته من الطيران الإســرائيلى فلم يجد أقرب إليه من منطقة جبلية داخل حدود فلســطين أرض العدو الإســرائيلى، وفى قرار جرىء قرر «الشــاذلى» أن يتحرك شــرقا إليها ليحتمي بجبالها من العدو فى عقر داره فى فلسطين.

فبدأ التحرك بقواته ليلاً ليحميه ظلام الليل من طائرات العدو، حتى اســتقر بمنطقة تقع بالقرب من بئر للماء ليعسكر بقواته هناك فى بطن جبلين فيصعب فيها على الطيران الإســرائيلى أن يراه، وحتى لو حدث ورآه العدو سيصعب عليه أن ينال منه، لأن سرعة طائرة العدو لن تتمكن مــن التوقف لضرب مجموعة «الشــاذلى» فلن تصــل ضرباتها إليها وهى مختبئة بين جبلين، واشــتهر «الشاذلى» فى الأوساط العسكرية بجرأته وبطولته فى حماية قواته من طائرات العدو فى حرب يونيه ١٩٦٧م.

قضت مجموعة «الشــاذلى» ليلة عصيبة فى حضــن الجبل فى أرض العــدو تحذره وتترقب انتقامه! واللواء «الشــاذلى» مع ضباطه وجنوده يتابعون إذاعة العدو وأخبار انتصاراتهم التى كان لها وقع مؤلم عليهم، فى الوقت الذى كانت فيه الإذاعة المصرية وسيلة المعرفه الوحيدة تعلن أنباء بعيدة تماما عن الحقيقة.

وكان يوم ٧ يونيه يوما رهيبا بتحدياته لمجموعة «الشــاذلى»عندما كشف الطيران الإسرائيلى مكانه وحاول ضرب قواته أكثر من مرة ليُعلم «الشــاذلى» أن قواته مرصودة من العدو الإســرائيلى، لكن «الشاذلى» كان

مطمئنــا بعجز العدو عن النيل منه ومن قواته حتى لو كان يراه ويرصد مكانه، وفى نفس اليوم ٧ يونيه عصرا تلقى «الشاذلى» أوامر من القيادة العليا فى القاهرة بأن قواتنا فى سيناء قد انسحبت جميعها! ولم يتبق إلا مجموعة «الشاذلى» المختبئة فى فلسطين وأمرته بالانسحاب فورا.

«الشاذلى» يواجه أهوال الانسحاب فى الظلام

كانت ليلــة ٨ يونيه من أصعب ليالى حــرب ١٩٦٧م التى بدأ فيها «الشاذلى» الانسحاب بقواته ليلا ليقطع معظم المسافة فى الظلام، تحرك بمجموعته فى حذر شــديد متجنبين الطرق الرئيسية، لأن قواته كانت بلا غطاء جوى ومكشوفة تماما للعدو، والموت يتربص بهم فى كل خطوة وقابل «الشاذلى» بفرقته طوال الطريق أهوالا عظيمة قال عنها «الشاذلى»:

«كانت بجنودنا الجرحى إصابات بالغة على جانبى الطريق تصارع الموت فيحملهم معه ودباباتنا المحترقة بنيران العدو، وعربات الذخيرة كانت لا تزال مشتعلة والشظايا تتناثر منها حولهم فى كل الاتجاهات، وعربات وأسلحة ومعدات قضت عليها نيران العدو تماما حتى إن دخان احتراقها المتصاعد فى الهواء من حولهم كان يزكم الأنوف».

كل ذلك كان يثير الحســرة والألم فى نفس «الشاذلى» وهو يرى جثث جنودنا وضباطنا التى فتك بهم عدو شرس فحولها إلى أشلاء على أرض سيناء، والطيران الإســرائيلى يحوم فوق رءوسهم والموت يلوح لهم فى كل شــبر فى الظلام، حتى ظهر أول ضوء لبزوغ الفجر فكشفهم للعدو،

وما كان أمامهم ليصلوا إلى شـرق الإسماعيلية إلا ٩٠ كم وهنا بدأ طيران العدو يهاجمهم بشراسـة، فالعـدو كان يراهم فى وضح النهار وينتقى مايدمره من معداتهم فكان يضرب الطرق حول قوات «الشـاذلى» ليشـل حركتهـا ويكبدهم خسـائرهائلة وطال بهم الطريق والشـعور بمرارة الهزيمة والانسـحاب من سـيناء يعتصر قلوبهم وهم يتركون جزءا من أرض الوطـن الغالى فـى قبضة العدو ليرتع فيها كيف يشـاء ليخرجوا منها مهزومين على أرضهم.

بهذه المشاعر الأليمة كان «الشاذلى» يقطع طول الطريق ونيران العدو فوق رءوسهم بما تبقى معه من جنود ومعدات بعد الفقد الهائل للمعدات والقوات طوال طريق الانسـحاب حتى وصل إلى المعابر عند قناة السويس بعدمـا فقـد الكثير من معداتـه، وكانت (مجموعة الشـاذلى) هى آخر وحدة عادت إلى أرض الوطن وأمارات الألم ومرارة الهزيمة ترتسـم على وجوههم، وكان فى انتظارهم ضباط سـلاح المهندسـين عند البر الغربى ينتظـرون عبورهـم ليقوموا بنسـف المعابر قبل أن يلحـق بهم العدو، وكانت مجموعة «الشـاذلى» هى آخـر مجموعة عادت بدروس كثيرة عن الحـروب وأهوال الهزيمة فى ١٩٦٧م ودفع الجيش ومعه الشـعب ثمنا باهظا للقرارات الخاطئة حول الحرب لقياداتنا فى ذاك الوقت.

وبعودة مجموعة «الشـاذلى» أسدل السـتار على آخر معارك نكسة يونيه ١٩٦٧م، فماذا كانت المهمة التى تنتظر «الشاذلى» فيما بعد؟

حرب الاستنزاف علامة بارزة فى مشواره العسكرى

رفضت قياداتنا هزيمة ١٩٦٧م وأبقت على حالة الحرب مع العدو فيما عُرف بحرب الاستنزاف والتى كان يتم فيها عبور دوريات إلى العدو وعمل كمائن لقواته وتفجير مستعمراته في سيناء، وغيرها من الخطط العسكرية التى تفسد على العدو استقراره فى سيناء.

فماذا كان دور «الشاذلى» فى حرب الاستنزاف؟

يحكى اللواء محمد التميمى عن دور «الشاذلى» فى هذه المرحلة قائلا:

«منذ ١٩٦٨م بدأت القيادة العامة فى إعداد الجيش ووضع خطط جديدة استعدادا للحرب واسترداد سيناء، ووقتها شارك اللواء «الشاذلى» في إعداد مشروع سنوى تدريبى استراتيجى بوصفه قائدا للقوات الخاصة مع القيادات العليا والتى كان على قمتها وقتها الفريق محمد فوزى آنذاك. ففى الفترة من ١١يونيه ١٩٦٧ حتى ديسمبر ١٩٦٩م تولى اللواء «الشاذلى» قيادة القوات الخاصة وقد كانت له بصمة ارتبطت باسمه عندما قام ولأول مرة بضم الصاعقة مع المظلات فى سلاح واحد، ليقضى بذلك على المنافسة التى كانت بين الصاعقة والمظلات لتتحول إلى تعاون إيجابى فيما بينهما.

وساعدنا الاتحاد السوفيتى بجدية فى تعويض خسائر طائراتنا فى النكسة وما دمرته إسرائيل فى حرب ١٩٦٧، وكنا قد فقدنا الطائرات

لكننا لم نفقد الطيارين، وبدأت طائراتنا فى هذه الفترة تُغير فى طلعات دوريـــة على العدو حتـــى انتبه إلى قواتنا الجديـــدة فانتقم منا بعدوانه الشـــهير فـــى ١٩٦٩م فى بحر البقر وفى أنشـــاص مقـــر تدريب أبطال القـــوات الخاصة لأن معظم عمليات الاســـتنزاف كانت تقوم بها القوات الخاصة من أنشاص بقيادة اللواء «الشاذلى» وتمكن العدو وقتها من تدمير كل قواتنـــا الجوية الجديدة وقواعدها، وعادت سماء مصر مفتوحة أمام إسرائيل وأصبح الموقف خارج إمكانياتنا حتى نجح الرئيس عبد الناصر فى نهاية ١٩٦٩م بالاتفاق مع روسيا على إمداد الجيش بالسلاح وقوات مقاتلة من موســـكو، وأرســـلت روســـيا ولأول مرة طيارين لتعادل بهم القـــوى بين مصر وإســـرائيل وجاءت معها بخبراء للأســـلحة وخبراء تدريب ومستشـــارين معاونين للقادة أثناء حرب الاســـتنزاف، وكانت مهمتهم التصدى للطائرات الإســـرائيلية داخل مصر وبما لا يتجاوز ١٥ كم نحو الضفة الغربية من قناة الســـويس. وظلت المساعدات العسكرية مـــن الســـوفييت إلى أن أصبحنا قادرين على إعداد كـــوادر خاصة (بنا).

انتهت رواية اللواء/ التميمى

وفـــى يوليـــه ١٩٧٠م وأثنـــاء حـــرب الاســـتنزاف أصـــدر الرئيس عبدالناصر قرارا مفاجئا بنقل اللواء «الشـــاذلى» إلى البحر الأحمر ليتولى قيادة المنطقة العســـكرية هناك، فما الذى حدث وأدى إلى نقل «الشاذلى» على وجه السرعة من أنشاص إلى البحر الأحمر؟

إبداعات عسكرية «للشاذلى» فى البحر الأحمر

جاء في رواية العميد (يحيى الشاذلى) أن العدو كان يُحدث مع قواتنا في البحر الأحمر مناوشـات عنيفة خلال حرب الاستنزاف، حتى إن العدو أسـرف في انتقامه في سبتمبر ١٩٦٩م عندما تسـللت جنـوده إلى منطقة الزعفرانة وتصادف فـى هذه اللحظات مرور محافظ البحر الأحمر بسـيارته فاعترضوا طريقه وقتلوه وسـائقه، وكان لهذا الحدث المؤسف وقع سـيىء على الرئيس عبد الناصر فاضطر إلى إصدار قـرار بنقل اللواء «سـعد الشـاذلى» من قيادة الصاعقة بمنطقة أنشـاص ليتولى قيادة المنطقة العسكرية بالبحر الأحمر ليتصدى لعمليات الإغارة الإسرائيلية هناك لثقة الرئيس في كفاءة اللواء «الشاذلى».

وهناك أحكم اللواء «سعدالشاذلى» سـيطرته العسكرية على المنطقة العسـكرية ليتصدى لهجمات العدو هناك، فقام بتدريب أكفأ الضباط، وصف ضباط الصاعقة على القيام بعمليات إغارة لإحدى النقاط الحصينة مـن خط بارليف، منها النقطة التى كانت تقع بين رأس العش والتينة في القطاع الشمالى لإرباك القيادة الإسرائيلية هناك، فجاء رد فعل العدو على إغارات قوات «الشـاذلى» أكثر عنفا، وفي تحد سـافر قامت قوات العدو بعملية إغارة شرسة على جزيرة شدوان، فأصدر «الشاذلى» أوامره

لقائد سرية الصاعقة التى كانت تحمى الجزيرة بالصمود والاستبسال حتى لحق به «الشاذلى» وجنوده بطائرة هليوكوبتر على الفور وتبعته ٢ سرية صاعقة، ونتج عن الاشتباك تدمير جزء لا يستهان به من سرايا العدو وطائرة هليوكوبتر، وقتلت قوات «الشاذلى» وأسرت عددا كبيرا من جنود العدو، مما دفع باقى قواتهم أن يلوذوا بالفرار من الجزيرة بعد هزيمتهم واستنجدت (جولدا مائير) بالرئيس الأمريكى لعمل هدنة بين الجانبين المصرى والإسرائيلى ووقف إطلاق النار، وقالت جملتها الشهيرة: (أنقذونا من المجرم سعد الشاذلى) واعتبر «الشاذلى» هذه المقولة وساما على صدره، بعد مذبحة شدوان تم بالفعل وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر، ووقتها تظاهر الشباب الإسرائيلى أمام الكنيست ضد وقف إطلاق النار فطالعتهم جولدا مائير قائلة: (كيف تتظاهرون فى يوم السبت الحزين بعد مذبحة «الشاذلى» فى شدوان الذى قتل من ضباطنا وجنودنا الإسرائيليين وأسر منهم الكثيرين).

انتهت رواية العميد/ يحيى الشاذلى

ويحكى اللواء أشرف راشد الذى قضى فترة من خدمته العسكرية فى البحر الأحمر وقتما كان «الشاذلى» قائدا لها فيقول:

بالرغم من أن قوات «الشاذلى» كانت محدودة فإنه استطاع أن يواجه العدو بخطط قضت على هجماته هناك، فعندما كان العدو الإسرائيلى يقوم أحيانا بزرع الألغام ليلا كانت جنودنا ترصد أماكنها وتنزعها فى

الصباح. وكان العدو يقوم بتنفيذ عمليات شرسة ضد المدنيين ردا على هجمات «الشاذلى» فيُسقط قواته بالمظلات على طريق الأسفلت ليقطع الطريق على المارة المدنيين، ويأسر بعضهم ثم يحملهم بطائراته إلى إسرائيل. ويبالغ مبالغة شديدة في الإعلان عن عدد الأسرى وحدث ذلك بالفعل في طريق قنا القصيرعندما أسر ٥ من المدنيين وأعلن أنهم ٥١ أسيرا. ولمواجهة ذلك والقضاء عليه بدأ اللواء «سعدالشاذلى» التركيز بقواته على ٥ مناطق. ومنع السير ليلا على الطرق العسكرية والمدنية بدءا من قبل الغروب بساعتين حتى الساعات الأولى من الصباح (حظر تجول) ليضيق على العدو فرصة التعرض للمدنيين هناك. كما أقام نقاطا للمراقبة الجوية، كل نقطة بها ٥ جنود لرصد حركة العدو وتضييق الفرصة عليه عند التسلل. ونجح اللواء «سعدالشاذلى» بالفعل فى إحكام قبضته على المنطقة. فلم ينجح العدو خلال قيادته لمنطقة البحرالأحمر فى أسر أحد من المدنيين أو العسكريين ولا حتى الإغارة على أية نقطة. كما نجح في إقامة مناطق آمنة فى رأس غارب والغردقة وسفاجا والقصير حتى ارتبط الأمان هناك باسم «الشاذلى» بعدما كبد العدو خسائر فادحة.

ويضيف اللواء أشرف راشد:

لم يكتف اللواء «سعد الشاذلى» وقتها بتدريب قواته على القتال وحسب وإنما كان يعلمهم مهارات أخرى ويحرص على تعريفهم بكثير

مــن المعلومات منها أهمية المد والجــزر للبحر وتأثيره على تحركاتهم نحو العدو، وكان يصدر ما عرف (بتوجيهات الشــاذلى) التى اشــتهر بهــا آنــذاك فى الجيش وكان يصدرها كل شــهر فى كتيــب لكل ضابط وكل جنــدى، كان يحتوى على تعليمات تفصيليــة دقيقة لدور جنوده وضباطــه وكان الجميــع يلتــزم بتنفيذهــا بدقة منها مــا كانت تقضى بترشيد استهلاك المياه لندرتها، وكذا طرق الاستخدام الأمثل للذخيرة والأســلحة وتجنــب الفاقد منها، وتعليمات أخــرى كثيرة تحدد عمل الضباط والجنود وتحركاتهم خلال ٤٢ ساعة، ولم يترك اللواء «الشاذلى» شــيئا مهما كان صغيرا أوكبيرا إلا واستفاد منه، منها على سبيل المثال لا الحصــر أنه عندما لاحظ ما يفيض من فتــات أطعمة الضباط والجنود لم يســمح أن يُلقى بالفتات فى القمامة، بل أمــر بإقامة حظائر لتربية الدجاج خلف المطابخ للاســتفادة من فائــض الأطعمة ليقدم الدجاج فيما بعــد ضمــن الوجبــات الغذائية على موائــد الضباط والجنــود كأطعمة ترفيهيــة. وغيرها مــن الأفكار التى لا تتســع الأوراق لحصرها لكنها تكشــف عن عقلية «الشــاذلى» الإبداعية وابتكاراته مع كل شــىء مهما كان بسيطا.

انتهت بذلك رواية اللواء أشرف راشد

الشاذلى رئيسا لأركان حرب الجيش

بعد مـرور مايقرب من عام على رحيـل الرئيس جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠م أصدر الرئيس السادات فى ١٦ مايو ١٩٧١م قرارا بترقية اللواء «الشـاذلى» إلى رتبة الفريق وتعيينه رئيسـا لأركان حـرب القوات المسـلحة، ويعلق اللـواء جمال مظلوم علـى هذا القرار فيقول:

جـاء هـذا التعيين تقديرا لكفاءة «الشـاذلى» وجهـده خلال حرب الاسـتنزاف، متخطيا بترقيته دفعتين من زملائه ما كان «للشاذلى» أن يسبقهم إليها إلا بكفاءته التى اشتهر بها، ووقتها كان تعيينه مفاجأة للشـاذلى وزملائه اللـواءات الذين تجاوزهم بالترقيـة، وكانت ترقية «الشـاذلى» فى هذا التوقيت تعكس ذكاء الرئيس السادات فى اختيار قادة الجيش، خاصـة أنها جاءت بعد ثورة التصحيح بأيام والتى أطاح فيها الرئيس السادات بمراكز القوى التى تآمرت عليه، ولأن «الشاذلى» كان عسـكريا محترفا لا يسـعى إلى المناصب أوالتقرب إلى أى سـلطة، ولم يكن محسوبا على أى تكتل، فكان «الشاذلى» من وجهة نظر السادات شخصية محايدة سياسيا وله تاريخ عسكرى مشرف، فاعتبر «الشاذلى» والسادات هذه الترقية فى هذا التوقيت الحرج شأنا وطنيا لصالح مصر.

فماذا قدم «الشاذلى» لمصر فى منصبه الجديد؟

يعـــود اللواء محمد التميمى ليحكى عن جهود «الشـــاذلى» فى إعداد الجيش لمعركة أكتوبر فقال:

«أراد الفريق «الشاذلى» أن يضاعف عدد ضباطه، ولأن الضابط يحتاج فى إعـــداده إلى جهد كبير خاصة أن «الشـــاذلى» كان يُعد الضابط ليصبح قائـــدا وليس مجرد ضابـــط يتلقى أوامر لينفذها، وكان ســبيله لتحقيق ذلـــك هو وضع برنامج لمضاعفـــة عدد الضباط، وتدريبهـــم تدريبا جيدا على أســـلحتهم، فوزع ضباط الاحتياط حاملى الشهادات الجامعية على مـــدارس الأســـلحة المختلفة، وحـــرص أن يظل كل منهـــم فى تخصصه حتى قيام الحرب فيما بعد، ليكتســب كل ضابط مهارة عالية بتدريبه وملازمته لســـلاحه لســـنوات، ولم يســـمح بتنقل الضباط بين الأسلحة المختلفة، ليحصل فى النهاية على كوادر متخصصة.

ومن الركائز الهامة التى اعتمد عليها الفريق «الشـــاذلى» هى الشحن المعنوى المســـتمر للضباط وتوعيتهم بقضية مصر ضد العدو الإسرائيلى، فاســـتخدم اللافتات التى ترمز لحب مصر والاستبسال من أجلها، وأمر بتعليقهـــا فى كل مكان يمكن للضباط أن يروها طـــوال حياتهم اليومية (فى المطعم والمـــرات وأماكن النوم وأماكن التدريب و....و....) وكذلك مطبوعات الإعداد المعنوى التى كانـــت توزع عليهم والتى أطلقوا عليها (توجيهات الشاذلى).

دأب «الشـــاذلى» على تقديم حلول عســـكرية فوريـــة لكل ما يواجه ضباطه من مشـــاكل مهما كانت صغيرة، وكان ينظم مؤتمرا شهريا يضم

قيادتين على الأقل وثلاثة مستويات لقيادات أقل حتى أدناها (الجندى) ليعرض كل منهم مشـاكله للمناقشة فى حضور القيادات الأخرى، فقد يجد حلا لمشـكلة أحد القادة لدى قيادى آخر فيتحقق الحل الفورى فى زمن قياسـى، وكان «الشاذلى» يشرف بنفسه على هذه اللقاءات ويناقش الحلول معهم، وإذا صادفه مشكلة صعبة الحل يقوم على الفور بتكوين لجنـة خاصة لحلها وفورا، وذلك لدعـم الاتصال بين القيادة والجندى الفرد باعتباره أساس القوات المسلحة.

سـاعد على إنجاح ذلـك أن الفريـق «الشـاذلى» كان يتميز بصفات متفردة، منها إدارة الوقت والالتزام بالتوقيتات والمواعيد بدقة شديدة، والتخطيط الاستراتيجى الجيد، وتفوقه فى إعداد خطط وجداول العمل، ورفضـه للتميز فى أى مجـال عن باقى القادة كما حـدث عندما رفض إقامة ملجأ خاص له كقائد ،واكتفى بملجأ أسـوة بالقادة الأصاغر تحت الأرض، واهتم بتنمية الولاء والانتماء ومهارات الاتصال بين القيادات والضباط والجنود، بالإضافة إلى ذلك أدخل «الشاذلى» مايسمى (التدريب بالمغامرة) وهو إصطلاح معروف فى القوات البريطانية تعلمه «الشاذلى» فى بداية السـتينيات عندما كان ملحقـا حربيا فى لندن، ولم يكن هذا الأسـلوب التدريبى متبعا فى القوات المسلحة المصرية فى ذاك الوقت، ويتلخص فى قيام القادة الأصاغر مع جنودهم ببعض الرحلات بعيدا عن وحداتهـم وقادتهم على أن تجمع هذه الرحلات بين الترفية والتدريب

ليكتسبوا مهارة الاعتماد على النفس والابتكار واتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب، في عمل دءوب لم يسبقه إليه أحد، ولم يلجأ إليه أحد بعده حتى تحقق ما تمناه من إعداد قوة مماثلة من الضباط مضافة إلى قوته الأساسية ليتضاعف عددها خلال سنتين فقط.

إلى هنا إنتهت رواية اللواء/ محمد التميمي

ساهم هذا الجو النفسي الذى أحدثه «الشاذلى» في رفع الروح المعنوية للضباط والجنود التى أعانتهم على دخول الحرب المرتقبة تملؤهم الثقة فى أن النصر سيكون لهم بإذن الله، لم يساهم هذا الإعداد العسكرى والنفسى غير المسبوق فى تقوية الروح المعنوية للجنود والضباط وحسب ولكنه زاد من ثقة الفريق «الشاذلى» فى المواجهة المرتقبة ضد إسرائيل، فدفعته هذه الثقة إلى أن يقدم مذكرة للرئيس السادات فى نوفمبر١٩٧١م يستأذنه فيها بالسفر إلى دول الدعم العسكرى لطلب العون فى الحرب المرتقبة مع إسرائيل تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشترك تمهيدا للاستعداد للحرب، فقد كان الفريق «الشاذلى» وقتها هو الأمين العسكرى المساعد بجامعة الدول العربية مع رئاسته لأركان حرب الجيش، ولكن مضى شهران ولم يرد الرئيس على مذكرة «الشاذلى» بالرفض أو القبول! فاضطر «الشاذلى» إلى طلب مقابلة الرئيس وتحدد موعد المقابلة فى ٢٧يناير ١٩٧٢م فماذا دار بين الشاذلى والسادات فى هذا اللقاء؟

مباحثات مثمرة للشاذلى فى الدول العربية

فى اللقــاء المرتقب فــى٢٧ يناير ١٩٧٢م تمت المقابلة بين الشــاذلى والسادات، وأخبر الفريق «الشاذلى» الرئيس السادات عن عزمه على القيام بجولة فى بعض الدول العربية لطلب دعمها العسكرى لمصر استعدادا للمواجهة المرتقبة مع إسرائيل تنفيذا لتوصيات مجلس الدفاع المشترك، فقال السادات:

لا أوافــق... إنها مضيعة للوقت ولن تكون هناك أية نتائج للزيارة، ولكنــى أوافق على أن تزور ليبيا والســعودية فقــط لأنهما بالفعل على اســتعداد لتقديــم العــون لنا، أما الــدول الأخرى (الجزائــر والمغرب والعراق) فإنها لن تعطى شيئا، لكنها ستستفيد دعائيا من زيارتك.

الشاذلى: ولكن سفرى إلى هذه البلاد سيكون بصفتى الأمين المساعد العسكرى للجامعة العربية وليس بصفتى رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة.

الســادات: إن ســفرك بصفتك الأمين العسكرى المســاعد للجامعة العربية لن يلغى صفتك كرئيس للأركان، وسوف يستغلون صفتك هذه فى دعاياتهم لأبعد الحدود.

الشــاذلى: إن علاقة مصر مع تلك الدول ســيئة فإذا نجحت زيارتى فى الحصول على شــىء لمصر فهو مكســب، وإذا لم أحقق شــيئا فليس هناك ما نخسره.

رد السادات في غضب:

شوف يا سعد..... أنت رجل عسكرى محترف ولا تفهم فى السياسة، إنى أعمل فى السياسة وأتعامل معهم منذ عشرين عاما وأعرفهم جيدا، إنهم يزايدون أحيانا وينتقدون أحيانا أخرى ويعرضون مساعداتهم بشروط غير مقبولة، وكيف تقوم بزيارة دول تقوم بالتهجم علينا وانتقاد سياستنا ؟

استوعب الفريق «الشاذلى» بذكائه اعتراض الرئيس واستطاع فى نهاية اللقاء أن يقنعه بفكرته، وسرعان ما تغيرت لهجة الرئيس بعد اقتناعه بوجهة نظر «الشاذلى» وقال :

الله يجازيك ياسعد ! تقدر تقوم بزيارتك وسنرى ما ستتمخض عنه هذه الجولة العربية.

وبالفعل غادر الفريق «الشاذلى» القاهرة فى ٩ فبراير ١٩٧٢م متوجها إلى الجزائر، يرتب فى رأسه ما سيطرحه فى حواره مع القادة هناك، وكان الفريق «الشاذلى» يتميز ببراعته فى الإقناع وقدرته الفريدة فى تحويل فكرته إلى واقع فى زمن قياسى، وفى الجزائر وظف «الشاذلى» كل إمكانياته الإقناعية وذكاءه فى التحاور حتى كان له ما أراد وحصل بالفعل على موافقة المسئولين هناك على دعم مصر، وشجعه نجاحه فى الجزائر أن ينطلق منها إلى المغرب ثم ليبيا وبعدها عاد إلى القاهرة بنتائج مثمرة للغاية أرضت الرئيس السادات وشجعت «الشاذلى» أن

يعــاود المحاولة فى دول عربية أخرى. فقام مــن جديد بزيارة العراق فـــى ٢٦ مايو حتى ٢يونيه ١٩٧٢م ونجح فى تقريب وجهات النظر بين القاهرة وبغداد. (الفقرة السابقة نقلا من كتاب - الفريق الشاذلى وأسرار الصدام مع السادات - للكاتب محمود فوزى).

مناقشات حول قيام الحرب

بعد نجاح جولاته فى دول الدعم العســكرى بدأ «الشاذلى» فى وضع تصور لخطة الحرب وفى ٦يونيه ١٩٧٢م دعا الرئيس الســادات القادة العســكريين إلى مؤتمــر باســتراحته بالقناطر الخيرية لمناقشــة خطة «الشــاذلى»، وبدأ القادة ومعهم الرئيس الســادات يســتمعون إلى تقرير الفريــق أول أحمد إسماعيــل رئيس جهــاز المخابــرات العامة آنذاك وخلاصة ما جاء فى التقرير:

(تحذير من أن تقوم القوات المسلحة بأى عمليات هجومية ضد العدو حيث إنها غير مستعدة بسبب ضعف قواتنا الجوية، وبناء عليه تؤجل أى عملية حربية إلى أن تكون قواتنا متوازنة مع قوات العدو)

وجــاء اقتراح التأجيل متوافقا مع وجهــة نظر الفريق صادق وزير الحربية فى رفضه للحرب، فطلب الفريق «الشاذلى» الكلمة تعليقا على ماجاء فى التقرير قال فيها:

«ليس هناك خلاف على ضعف قواتنا المسلحة فى قدرتها على القيام بعملية هجومية كبيرة، ولكن إمكانياتنا الحالية تسمح بأن نقوم بعملية

محدودة نصيب بها إســرائيل فى نقطتى ضعفها، الأولى: هى عدم قدرة العدو على تحمل الخســائر البشرية لقلة عدد المقاتلين، والثانية: طول مدة الحرب لأن إسرائيل تعتمد على الحروب السريعة وتعبئ لها نسبة كبيرة من الشــعب اليهودى للاشــتراك فى الحرب مما يؤدى إلى توقف الحياة فى إســرائيل بكل قطاعاتها، فالاعتمــاد على إطالة مدة الحرب سيكون ســببا لتعجيز إسرائيل وتكبيدها خســائر بشرية، فتسقط من تلقاء نفسها عند المواجهه».

لم يكــن الهــدف الأول «للشــاذلى» هو الحصول علــى الأرض بقدر حرصه على الانتصار العســكرى بتدمير قوات العدو كخطوة أولى، فقد كان يرى أنه إذا تقدم جيشنا للحصول على الأرض دون القضاء أولا على العدو مع ضعف قواتنا الجوية والتفوق العســكرى للعدو نكون قد أتحنا الفرصة للعدو بتطويق جيشنا والانتصارعلينا. ذلك لأن العدو كان يتفوق علينا فى الطيران، ولديه ســرعة التواصل المباشــر لطيرانه مع دباباته على الأرض مباشرة وهذا مالم يتوافر لدينا. وبناءً عليه يصبح (القضاء على العدو أولا) هو الســبيل لتحقيق النصر واســترداد الأرض. فإذا تم الانتصــار على العدو أولا فتح النصر أمامه كل الأرض فيما بعد فيحصل عليها عندئذ بدون حرب أو خسائر.

وبعد استعراض الفريق «الشــاذلى» لخطته أعلن اللواء المسيرى قائد القوات الجوية تأييده المطلق لخطة «الشاذلى» ١٠٠٪، واستعرض القادة

العسكريون وجهات النظر المختلفة وأصبح القرار للرئيس السادات، ولكن انتهى الاجتماع دون أن يتخذ الرئيس قرارا محددا يحسم به خلاف وجهات النظر بين القادة حول الحرب.



«الشاذلى» يضع خطة المآذن العالية

وفى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢م وبعدما اقتنع السادات برؤية «الشاذلى» طلب الفريق أول أحمد إسماعيل وزير الحربية من الفريق «الشاذلى» وضع خطة مبدئية للوصول إلى المضايق لإطلاع الجانب السورى عليها (والمضايق هى ممرات ضيقة بين جبال سيناء تمر من خلالها القوات المحاربة إلى داخل سيناء) ووضع الفريق «الشاذلى» خطته طبقا للإمكانيات الواقعية للجيش المصرى آنذاك وكذا إمكانيات العدو، وأطلق على الخطة اسما سريا (المآذن العالية) بينما كان الاسم المُعلن (الخطة ٤١) بهدف التمويه على خطة المآذن العالية، وكان الهدف من إعلان (الخطة ٤١) هو إعلام الروس بها لمساعدتنا بتوفير الأسلحة والإمكانيات اللازمة لتنفيذها، وجعل «الشاذلى» هدف خطته هو الاستيلاء على ٣٠ : ٤٠ كم داخل سيناء على مرحلتين. الأولى التحرك حوالى ١٢ كم فقط. يتم بعدها وقفة تعبوية لقواتنا قد تمتد لشهور بهدف إضعاف العدو بطول مدة الحرب فيسقط عند أول مواجهة، بعدها يتم الاستعداد للمرحلة الثانية، ورأى «الشاذلى» أن تنفيذ الخطة على مرحلتين يفوت على العدو مهاجمة الجيش المصرى وتطويقه، وتم إطلاع الرئيس السادات والجانب السورى على الخطة بمرحلتيها.

إقالة الفريق صادق وزير الحربية

لم يكن الفريق محمد صادق وزير الحربية فى ذاك الوقت متحمسا بما يكفى لخوض الحرب ضد إسرائيل، حتى إنه لم ينفذ تعليمات الرئيس السادات بتبليغ أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة جميعهم فى اجتماع الفريق صادق بهم بالاستعداد للحرب لأنه كان يخاف الحرب ويخشى المعركة المرتقبة برغم بدء الإعداد لها! وغضب الرئيس السادات لما علم بمخالفة الفريق صادق لتعليماته واعتبرها سقطة كبيرة من الفريق صادق فاضطر لإقالته، وعين الفريق أحمد إسماعيل على بدلا منه والذى كان وقتها مديرا للمخابرات، وتم تعيينه وزيرا للحربية خلفا للفريق صادق وذلك فى ٣٠ أكتوبر ١٩٧٢م (ملخص رواية السادات فى ص ٢٤٨ من كتابه البحث عن الذات بشأن إقالة الفريق صادق)

قرار الرئيس السادات بإجلاء القوات الروسية عن مصر

وفى يوليو ١٩٧٣م جاء قرار السادات بإجلاء القوات الروسية فى توقيت حرج قبل حرب أكتوبر بشهرين وأصبح على الجيش المصرى أن يُضاعف من عمله لتعويض الفراغ الذى تركه الروس فى الجيش، مما زاد من العبء على الفريق «الشاذلى» فاضطر لمضاعفة الجهد لإعداد قوات جديدة، وبعدها بشهر واحد بدأ الاستعداد الفعلى لتنفيذ خطته عندما التقت القيادات العسكرية السورية والمصرية فى مؤتمر بالإسكندرية

فى ٢١ أغسـطس ١٩٧٣م لمدة ٣ أيام لاتخاذ التدابير اللازمة للاستعداد للحرب ورفـع تقارير عن هذه اللقاءات لكل من الرئيس السـادات فى مصر والرئيس الأسد فى سوريا حتى تتخذ القيادات السياسية التوقيت المناسـب طبقا لعوامل كثيرة منها أعياد اليهـود، وعوامل المد والجزر فى قناة السـويس، والليالى القمرية، وكذا الظروف الطبيعية فى سوريا وغيرهـا من الاحتياطات، بعدها تحدد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو يوم الحرب وتم إبلاغ الجبهة الشمالية - سوريا - والأردن بموعد الحرب.

وهنا يحكى الفريق يوسـف عفيفى المحافظ الأسبق للبحر الأحمر الذى كان قائدا للفرقة ١٩ مشاة فى حرب أكتوبر التى سجلها فى كتابه (الفرقة ١٩ مشاة أبطال فوق العادة) قائلا:

(أخذ الفريق «الشاذلى» يتابع الاستعدادات النهائية لتنفيذ خطته، وكعادته كان يراجع بدقة شـديدة أدق تفاصيل العبور بالساعة والدقيقة وربما بالثانية كما أعدها بالضبط، بعدما وصل حرصه إلى التأكيد على أن يحمل كل جندى وضابط سيقوم بالعبور حقيبة صغيرة على ظهره يحمل بها أطعمة جافة تكفيه ٢٤ سـاعة وجهاز لاسلكى ليتسنى له الاتصال بقيادته، وطلقات دخان ليسـهل على طائرات الإنقـاذ أن تراه إذا ضل طريقه فى سيناء، وتحديد عدد الجنود فى كل قارب للعبور، وتوقيتات دقيقة لتحرك كل منهم فى لحظات العبور، كان «الشـاذلى» يعد لحرب أكتوبـر وعبور القناة كأنه يعد لاحتفال كبـير بالنصر، مطمئن بالروح

المعنويــة المرتفعة لجنوده، واثق كل الثقــة بخطته، ويؤكد بين الحين والآخــر على تفاصيل متناهية الدقة كأنه في ســباق مع التاريخ لينتزع من أيامه القادمة النصر لبلاده) وأضاف الفريق يوسف عفيفى:

(إن الفريق «ســعد الشــاذلى» نظم ببراعة فائقة انسياب مايزيد عن ثلاث آلاف مركبة عبر القناة فى فترة زمنية قصيرة حددها بحســاباته الدقيقة بألا تزيد على ٣ ساعات، ولم يترك فى تجهيز مسرح الممليات صغــيرة ولا كبيرة بــكل تفاصيلها الدقيقة عن تجهيــز المقاتل ومهامه المختلفة فى كل مراحل العبور والقتال شــرق القنــاة إلا وأعدها إعدادا غير مســبوق وأصدرها مكتوبة فــى توجيهه التاريخى الذى أطلق عليه (توجيه ١٤) وهذه الجهود لابد أن تنســب للفريق الشاذلى بطل أكتوبر وسيظل التاريخ يذكرها له).

إلى هنا انتهت رواية الفريق يوسف عفيفى

وفــى يوم الجمعــة ٥ أكتوبر قبل العبور بـ ٢٤ ســاعة فقط، وبينما كان «الشــاذلى» يتفقد أحوال الوحدات العســكرية بطول القناة ويراجع كل شــىء مراجعة دقيقة، اســتوقفه تجمع كبير للجنود والضباط حول اللواء عبد المنعم واصــل قائد الجيش الثالث الميدانى يخطب فى جنوده وهم يستمعون إليه فى انتباه هائل.

كان اللواء عبد المنعم واصل فى كلمته يشــعل حماس جنوده ويُحفز عزيمتهم للقتال ويمنيهم بالنصر ويدعوهم للاستبســال ووضع الأرواح

على الأكف فإما النصر وإما الشهادة و.....و.... فقاطعه الفريق «الشاذلى» ليقـترح عليه اختيار صيحـة التكبير «الله أكبر» بمعانيها الحماسـية لتكون صيحة العبور، ولما راقت الفكرة للواء واصل أمر «الشاذلى» بجمع ٢٠ من مكبرات الصوت لتوزيعها على الوحدات بطول خط القناة لتنادى علـى الجنود فى لحظات العبور «الله أكبر» فيرددها الجنود فى لحظات العبور فتشـتعل قلوبهم حماسا بنداء التكبير وتشحنهم بطاقة إيمانية لها قوة دفع تعينهم على العبور، حتى جاء ٦ أكتوبر يوم العبور، فماذا كان يفعل الفريق «الشاذلى» فى هذا اليوم التاريخى؟



أعظم أيام النصر فى مصر

منذ صباح السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م إلى الساعة الثانية ظهرا (ساعة الصفر) كان الفريق «الشاذلى» منشغلا بتلقى تقارير تؤكد الاستعداد التام فى جميع الوحدات على خط القناة، ويتابع من خلال مركز القيادة موقع كل مقاتل واستعداده لمهامه القتالية المعدة له ليتأكد أن قواتنا فى حالة الاستعداد القصوى، وكان «الشاذلى» كقائد متحفز للثأر من عدوه يملؤه شعور بالقوة بترتيباته الدقيقة لكل شىء مع بعض من قلق ترقب التنفيذ، ويتابع تقارير عن أحوال العدو على الجانب الآخر شرق القناة فيطمئن لاسترخاء العدو وعدم انتباهه لاستعدادات قواتنا للعبور لمباغتته والهجوم عليه.

وكان الرئيس السادات فى مركز القيادة العامة يحتل مكانه على المنصة الرئيسة مع القائد العام ورئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات حتى جاءت ساعة الصفر الثانية ظهرا التى انطلقت فيها طائراتنا تضرب بقوة معاقل العدو فى الطلعة الأولى وتعلن نجاح الضربة الأولى نجاحا كاملا ومذهلا لإسرائيل والعالم كله، فى ثلث ساعة فقط وبعد عشرين دقيقة من ساعة الصفر كانت طائراتنا قد ضربت مراكز القيادة ومراكز إدارة الطيران ومراكز إدارة الدفاع الجوى للعدو «الله أكبر»، ولما تأكد السادات من نجاح الخطوة الأولى هنأ القادة فى غرفة العمليات،

وانطلقت جنودنا طبقا للخطة يتسلقون ببراعة هائلة الساتر الترابى علــى درجات من الحبال، وآخرون فى مواقع أخرى يشـقون بخراطيم المياه ارتفاعات هائلة للساتر الترابى وهم يرددون «الله أكبر»، والزوارق المطاطية تندفع بقوة وبسـرعة هائلة على سطح مياه القناة تحمل قواتنا إلى الجانب الشرقى فى سيناء «الله أكبر» وساعة وراءها ساعات وامتدت المعابر تشـق مياه القناة لتصنع جسـرا تعبر من خلاله أسلحتنا الثقيلة إلى سـيناء وصيحة التكبير تزلزل قلوبهم وتشعلهم حماسا «الله أكبر» و «الشـاذلى» بانتباه هائل يتابع بقلق بالغ أدق تفاصيل تنفيذ خطته خطوة بخطوة وتحركات جنوده على خط النار.

وعاشت مصر كلها فى هذا اليوم العظيم من تاريخها مفاجأة الحرب فــى حالة ترقب وقلق شـديدين أثنـاء متابعة العبور من خلال شاشـة التلفاز، كان الشعب المصرى كله يترقب النصر ويخشى تكرار الهزيمة، لم يكـن جنودنا وحدهم يرددون صيحـة التكبير «الله أكبر» فى لحظات العبور ولكن كان يرددها معهم الشعب المصرى كله فى الشوارع والمقاهى والبيوت وفى المساجد خاصة أن يوم نصر العبور توافق مع يوم العاشر من رمضان حتى أطلق البعض على حرب أكتوبر حرب العاشر من رمضان.

وكان لإعلان الحرب والعبور مفاجأة أيضا لأسـرة الفريق «الشاذلى» فى منزلهم، فلم يعلموا بالحرب إلا من خلال وسـائل الإعلام مثل باقى المصريين! وعن هذا اليوم قالت السـيدة زينات السحيمى زوجة الفريق «الشاذلى» فى حوار لها:

«أنا عشــت حياتى ربة منزل ويومها كانت عندى الخياطة وجاءت إلينا ابنة الجيران لتعلمنا بعبور الجيش للقناة، وكانت المفاجأة مدهشة لأن «ســعد» لم يخبرنى أى شــىء عن عزمه على الحرب، وكانت تلك عادته. كان رجلا عســكريا بكل ماتحملــه الكلمة من معنى، كان دائما مشغولا بعمله، وكان صامتا لايتكلم معنا عن عمله على الإطلاق، فعمله خط أحمر ممنوع الاقتراب منه أو الكلام عنه، وكان يســافر ويعود ولا أعرف بسفره إلا بعد عودته وتلك كانت تعليماته لنا، وأصعب اللحظات التى عشــتها معه هى فترات الحروب لأننا وقتهــا ما كنا نعرف عنه شــيئا وكان يختفى لفترات طويلة دون أى اتصال بينما جيراننا الضباط كانوا يطمئنون أهليهم إلا «ســعد» ما كان يتصل بنا ولاندرى عنه شيئا. وبالطبــع لم يُعلمنا قط عن نية مصر فى دخول الحرب وظل قبل الحرب ثلاثة أشهر لم يحصل على إجازة».

كانــت قلــوب كل المصريين يملؤهــا خوف تكــرار هزيمة ١٩٦٧م وخــوف على أرواح أبنائهــم وذويهم المقاتلين على خــط النار ولم يكن أمامهم إلا الدعاء والتضرع إلى الله فى طلب النصر ونجاة أبناءنا المقاتلين على خط النار.

وفى يوم ٨ أكتوبر وبعد نجاح العبور وقف جنودنا البواسل بخطى ثابتــة وثقة المنتصرعلى أرض ســيناء الحبيبة والفرحــة ملء عيونهم وهم يســتقبلون الفريق «الشــاذلى» فى ميدان القتــال ويهتفون بخطتة

(توجيــه ٤١) التى حققوا بهــا النصر فى مرحلته الأولى، و توجيه ٤١ هو التوجيه الذى حل فيه الفريق «الشــاذلى» ١٣٢ مشكلة كانت تواجه مخطط عبــور القناة وتدمير خط بارليف وإقامة رءوس الكبارى شــرق القناة، فى إنجاز خارق وغير مســبوق (حسب رواية الخبير العسكرى لواء د. إبراهيم شكيب).

والتــف الجنود البواســل حــول الفريق «الشــاذلى» يهتفون باسمه بفرحــة عارمة وثقة هائلة فى أروع حالة معنوية يمكن لقواتنا أن تصل إليها ربما خلال تاريخها العســكرى الحديث كله، ليسجلوا فرحتهم فــى تلك اللحظات التاريخية فى لقطــات فوتوغرافية التفوا فيها حول الفريق «الشاذلى».

ونجحت المرحلة الأولى من خطة «الشــاذلى» ووصل جنودنا إلى عمق ١٢ كم داخل ســيناء كما حدد لها «الشــاذلى» وهى حدود الغطاء الجوى المصرى واقتحموا خط بارليف ونجح جنودنا فى إسقاط بعض حصونه، وحطموا الأســطورة الكاذبــة للجيش اليهودى الــذى لا يُقهر. وارتفع العلم المصرى ليرفرف خفاقا على الضفة الشرقية من القناة معلنا انتصار قواتنا على العدو.

وفــى يــوم ١٠ أكتوبر وطبقــا للخطة كان على اللواء أول مشــاة أن يتحــرك جنوبا فــى محاولة لاحتــلال منطقة محددة فــى تقدم حرج لأنه ســيصبح خلال تحركه خارج المظلة الجويــة، لذا كانت تعليمات

«الشـاذلى» المشددة بأن يتم التحرك بعد آخر ضوء للنهار ليحميهم ظلام الليل فـلا يرصده طيران العدو ويدمره، ولكن قائـد هذا اللواء لم يتبع تعليمات «الشـاذلى» وخالفها بتعجل التحرك قبل الغروب بسـاعتين، فرصـده العدو فى ضـوء النهار وتتبعه حتى ابتعـد عن مظلته الجوية وانهال عليه العدو ضربا حتى شتته وقضى عليه تماما.

واتخذ الفريق «الشـاذلى» من هذه الواقعة دليلا على صحة تقديراته للمرحلـه الأولى من خطته وحرصه على عدم قدرتنا على التحرك بعيدا عـن مظلتنا الجوية، وكان «الشـاذلى» ينتوى أن يظل فـى مواقعه التى اخترقهـا واحتلها لشـهور طويلة حتـى ترتبك الحياة فى إسـرائيل وينهار اقتصادها فتضعف من الداخل وتسقط فيما بعد من ضربة واحدة عند أول مواجهة مع جيشنا، ولكن ماحدث فى اليوم التالى غيَر مقاييس خطة «الشاذلى» وأضعفها.

السادات يأمر بتطوير الخطة والشاذلى يعترض:

وكما جاء فى مذكرات الشـاذلى: إنه فى يوم ١٢ أكتوبر طلب أحمد إسماعيل من «الشاذلى» تطوير الخطة بقرار سياسى من الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحه وذلك للوصول إلى المضايق لتخفيف الضغط على الجبهة السـورية، فاعترض «الشاذلى» على تطوير الخطة على هذا النحو فى هذا التوقيت الحرج قبل أن تتاح للمرحلة الأولى من خطته أن

تستقر بما حققته كما رتب لها من قبل، ورأى أن تطوير الخطة للتحرك نحـــو المضايق فى هــذا التوقيت فيه مخاطرة كبــيرة لقواتنا، خاصة أن قواتنا ستكون خارج غطائها الجوى والمخاطرة ستكون نتيجتها الحتمية تدمير قواتنا، كما حدث مع لواء المشاة الذى تم تدميره بالكامل فى مساء يوم ١٠ أكتوبر عند محاولته الخروج بعيدا عن المظلة الجوية، كما رأى «الشاذلى» أن تطوير الهجوم لن يخفف من الضغط على الجبهة السورية عكس ما تصورت القيادة السياسـية، فرفض «الشــاذلى» القيام بمحاولة محكوم عليها بالفشل مقدما؛ حفاظا على قواته ومعداته.

فماذا كان رأى القادة العسكريين فى تطوير الهجوم؟



الفريق الجمسى
يكشف حقائق جديدة حول الثغرة

كانت الخطة التى أمـر القائد العام (الســادات) بتنفيذها فجر ١٤ أكتوبــر تتلخص في عبورالفرقة١٢ المدرعــة والفرقة الرابعة عــدا لواء مدرع لتتحرك من غرب القنــاة فى اتجاه المضايق (اتجاه ممر متــلا، وممر الجدى وممرالطاســة وممر بالوطــة) ،وتنفيذا للأوامر تم إعــداد التعليمــات الخاصة بتطوير الهجــوم، ولكن فــور وصول هذه التعليمات إلى قادة الجيشــين الثانى والثالث اتصل كل من اللواء ســعد مأمون واللواء عبد المنعم واصل «بالشــاذلى» وأعربا عن معارضتهما وعدم قدرتهمــا على تنفيذ الخطة الجديدة بنجــاح في ظل الظروف المتاحة، وانتهز «الشــاذلى» فرصة المعارضة لمعاودة إقناع أحمد إسماعيل بالعدول عــن تطوير الهجوم، ولكــن كان هناك إصرار من أحمــد إسماعيل على ضــرورة الالتزام بقــرار تطوير الخطة لأنه قرار سياســى، وبناء عليه أصبح على قواتنا أن تشن هجوما بنحو ٤٠٠ دبابة بينما كانت قوة العدو ٩٠٠ دبابــة فوق أرض من اختيار العدو وفى ظل تفوق جوى معاد وعدم توفر وسائل دفاع صاروخى لقواتنا المهاجمة، فكانت النتيجة الحتمية هى فشــل هذا الهجوم وخسرت قواتنا نحو ٢٥٠ دبابة (رواية الشاذلى نقلا من كتاب «قصتى مع النظام» ص ١٣١)

العدو يتسلل إلى الضفة الغربية فيما عُرف بالثغرة

وفي يوم ١٥ أكتوبر اكتشفت طائرة استطلاع أمريكية لم يستطع دفاعنا الجوى أن يسقطها ، لأن ارتفاعها كان خارج مدى صواريخنا، ثغرة بين الجيش الثالث فى السويس والجيش الثانى فى الإسماعيلية فأبلغت إسرائيل التى تحركت على الفور واستطاع (أرييل شارون) - الذى أصبح فيما بعد رئيس وزراء إسرائيل - قائدا لإحدى الفرق المدرعة الإسرائيلية - أن يعبر بقواته إلى غرب القناة من هذه الثغرة عند منطقة الدفرسوار القريبة من البحيرات المُرة حتى وصلت القوات الإسرائيلية إلى طريق السويس القاهرة وبالتدريج ازدادت الأمور سوءا عندما تم تطويق الجيش الثالث بالكامل وأدى ذلك إلى تعقيد مسار الأحداث .

ويصف المشير الجمسى ماحدث فى الثغرة فى ص ١١٣ من كتاب (أسرار الصدام بين الشاذلى والسادات) فيقول :

فى ١٦ أكتوبر وبينما كان أحمد إسماعيل يرافق السادات أثناء إلقاء خطابه أمام مجلس الشعب كان الفريق «الشاذلى» فى مركز العمليات يتلقى بلاغا عن نجاح جماعات صغيرة من العدو بالتسلل إلى الضفة الغربية، ولكن اتضح فيما بعد أنها حوالى ٣٠ دبابة وكتيبة من جنود المظلات عبرت ليلا ! ونظرا لخطورة الأمر تقرر رفع استعداد اللواء ٢٣ ضمن احتياطى القيادة العامة ليتحرك من شرق القاهرة إلى قطاع الجيش الثانى لمعاونته فى القضاء على القوة المتسللة، وعلى ضوء هذه التطورات

حضـــر الرئيس الســادات إلى مركز العمليات واســتمع إلى تقرير أحمد إسماعيـــل، بعدها تقرر إيفاد «الشــاذلى» إلى قيادة الجيــش الثانى لمنع تدهــور الموقف واتخاذ اللازم للقضاء على العــدو غرب القناة ومحاولة قفــل الثغرة في شــرق القناة. وكنت (الجمســـى) على اتصال مســـتمر بالفريق «الشاذلى» لتبادل المعلومات والآراء.

وخـــلال يومـــى ١٩ / ٢٠ أكتوبر تقدمت قوات العــدو المدرعة غربا وجنوبا فى اتجاه فايد فى ظل تفوق جوى إســـرائيلى، وقد بذلت قواتنا مجهودا كبيرا خلال هذه الفترة الصعبة لحماية قوات الجيش بالتعاون مع الدفاع الجوى حتى بلغ متوســـط المجهود الجوى لقواتنا الجوية فى منطقـــة الثغرة ٣٣٠ طلعة طائرة خلال المدة مـــن ١٥ / ١٨ أكتوبر وكان ذلك دورا بارزا لقواتنا الجوية التى استخدمت فيها كل أنواع الطائرات المتيسرة.

ويستطرد المشير الجمسى فيقول:

وبعد أن ألم الفريق «الشاذلى» بالموقف تماما فى مساء يوم ٢٠ أكتوبر اتخذ القرار الذى يراه مناســـبا لمواجهة تهديد العدو الموجود فى غرب القناة وهو ضرورة ســـحب أربعة لواءات مدرعة من الشـــرق إلى الغرب خلال الـ ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو.

وذلك من وجهـة نظره لايؤثر فى كفاءة دفاعاتنا فى الشـــرق، بينما رأى أحمد إسماعيل غير ذلك، وكانت نقطة الخلاف الرئيســـة أن أحمد

إسماعيل يرفض رأى «الشاذلى» فى سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب، ولحسم الخلاف بينهما رأى «الشاذلى» أن الموقف خطير ويجب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه.

بعد اجتماع الرئيس مع أحمد إسماعيل الذى استعرض خلاله الموقف اجتمع بالقادة ليلة ٢٠ أكتوبر الذين رأوا أنه لاداعى لسحب قوات من الشرق حسب رؤية الشاذلى، فرفض السادات خطة الشاذلى وأعطى تعليماته لأحمد إسماعيل بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين على أن يتولى الفريق الجمسى رئاسة الأركان. وبعدها اتصل السادات بالسفير السوفييتى لإجراء محاولات وقف إطلاق النار. (من كتاب السادات والبحث عن الذات ص ٢٧٤ وما بعدها)

ولم يتح السادات الفرصة للشاذلى فى هذا الاجتماع أن يشرح خطته الدقيقة التى درس كل جوانبها لمواجهة الثغرة والتى رأى فيها أن انسحاب ٤ لواءات من الخط الثانى من الشرق لن يؤثرفى قواتنا المواجهة للعدو فى الخط الأول مستفيدا من أن الجيش كان فى أروع حالاته المعنوية بعد انتصار العبور، لتظل قواتنا حتى بعد سحب ٤ ألوية متفوقة على العدو فى العُدة والعتاد، ومتفوقة فى الدفاع وليس الهجوم تحت مظلتنا الجوية.

بينما رأى السادات وقتها أن فكرة الانسحاب قد تعيد إلى أذهان جنودنا وقائع الانسحاب الأليم الذى حدث فى ٥ يونيه ١٩٦٧م فتؤثر

فـى معنوياتهـم وبالتالى على أدائهـم، فكان الخلاف بين «الشـاذلى» والسادات حول كيفية مواجهة الثغرة هو الذى انتهى بإقالة «الشاذلى» من رئاسة الأركان.

ورأى «الشـاذلى» أن تدخـل الرئيس فـى قـرارات إدارة العمليات العسـكرية هو الذى أدى إلى تشـتيت الخطة العسـكرية التى وضعها «الشـاذلى» من البداية، وأن انفراد قائد سياسي يفتقد الخبرة العسكرية بقرار عسكرى فى وقت حرج (وقت الثغرة) وأثناء الحرب دون الالتفات إلى رؤية «الشاذلى» الرأس المدبر للخطة والقائد العسكرى لمعركة العبور ورئيس أركان الجيش كان أحد أسباب اتساع الثغرة.

ورأى «الشـاذلى» أيضا أنه لولا تدخل السادات ورفضه خطته للقضاء على الثغرة ما كانت تمت محاصرة الجيش الثالث من العدو، وما كانت الثغرة اتسعت يوما بعد يوم فى مثل هذا التوقيت الحرج حتى اقتربت من مطار فايد.

وقد عبر الخبير العسـكرى اللواء د. إبراهيم شـكيب عن رأيه فى خلاف الرأى بين الشاذلى والسادات لمواجهـة الثغرة:

«إن كلا الرأيين صائبان من منظور العلم العسـكرى إلا أننى أختلف مع رأى الفريق «الشاذلى» لفكرته سحب أربعة ألوية من الشرق إلى الغرب لمواجهـة الثغرة، وأتفق مع السـادات فـى أنه لو تم ذلك لأحدث بالفعل إرتباكا شـديدا فى صفوف جيشـنا فى سيناء بسـبب أن تحرك الألوية

الأربعة بدباباتها من شرق القناة نحو غربها سيثير غبارا هائلا حولها يلفت أنظار باقى الجيش خاصة أنه لن يكون مفهوما لباقى القوات ماذا يجرى بالضبط؟ وسيكون تفسيره الوحيد لديها فى هذا التوقيت الحرج للغاية هو أن قواتنا بدأت فى الانســحاب العام، ومن ثم سيكون له أبلغ الأثر فى قواتنا المنتصرة وعلى معنوياتهم».

وطبقا لتعليمات الرئيس لم يتم الإعلان عن إقالة الشاذلى، ولكن متى عرف «الشاذلى» بأمر إقالته، وكيف كان رد فعله؟



إقالة الشاذلى من رئاسة أركان الجيش!!

انتهت الحرب،واحتفل المصريون بانتصارهم فى العبور وتابعوا على شاشة التلفاز صورللقادة المكرمين من أبطال أكتوبر والرئيس السادات يقلدهم الأوسمة والنياشين، بينما غاب الفريق «الشاذلى» قائد ملحمة النصر عن مشهد التكريم.!

وما حدث هو إنه فى ١٢ يناير ١٩٧٤م اتصل به وزير الحربية أحمد إسماعيل وطلب مقابلته، ليعلمه بقرار الرئيس بإقالة «الشاذلى» من منصبه كرئيس لأركان حرب القوات المسلحة وأن الرئيس قد أصدر فى نفس الوقت قرارا جمهوريا بتعيين «الشاذلى» بالخارجية سفيرا لمصر بالدرجة الممتازة تكريما لدوره فى حرب أكتوبر.

لكن «الشاذلى» اعتذر لوزير الحربية عن قبوله منصب السفير و رأى إن كان هذا التعيين عقابا له فهو يفضل التحقيق لإظهار الحقائق، وأبدى استعداده للمحاكمة. وأصر «الشاذلى» على الرفض وفشلت مساعى الوزير فى إقناعه بقبوله العمل سفيرا بالخارجية، وأنهى «الشاذلى» المقابلة بتحرير اعتذار كتابى عن العمل بالخارجية لتسليمه للرئيس السادات.

وبرغم ذلك سارت إجراءات تعيين «الشاذلى» فى الخارجية فى مسارها ،حتى فوجئ بخبر تعيينه سفيرا بلندن منشورا بالصحف

فسارع «الشاذلى» بطلب مقابلة الرئيس السادات الذى كان وقتها بأسوان وتحدد فيما بعد موعد المقابلة فى أسوان يوم ١٦ يناير ١٩٧٤م.

وسافر الفريق «الشاذلى» بالطائرة إلى أسوان على نفقته الخاصة لمقابلة الرئيس ووصف «الشـــاذلى» لقاءه بالرئيس أنه كان لقاء وديا لم يخل من نبرة عتاب من الرئيس على رفض «الشاذلى» تعيينه بالخارجية، وطال بينهما ذلك النقاش الودى حتى اســتطاع الرئيـــس بذكائه وحنكته أن يتفهم وجهة نظر «الشـــاذلى» فى الرفض وذلك لمعرفته بعشق «الشاذلى» للعمل فى الجيش، ولكن الســـادات نجح بثنائه على «الشـــاذلى» ومدح كفاءته العســـكرية أن يقنعه أن اختياره للخارجية كان بســـبب خبرته العسكرية المتميزة وثقة الرئيس فيه، بعدما أفهمه أن تعيينه فى لندن ســـيكون مجرد تغيير لمكان عمله العســـكرى، لأن مهمته هناك ستكون مهمة عسكرية وسرية، وتحتاج إلى رجل فى كفاءة «الشاذلى» وعهد إليه الرئيس بالاتفاق على صفقات أســـلحة لمصر من ألمانيا، وأقنعه أن وجوده فى لندن سيسهل مهمته العسكرية الجديدة هناك.

واقتنع «الشـــاذلى» برأى الرئيس الذى استشعر فيه الثقة، واعتبره ترضيـــة كافيـــة وتعويضا عن إقالتـــه من الجيش، خاصـــة أن عمله فى لندن ســـيكون امتدادا لعمله العســـكرى لخدمة القوات المسلحة، وعلى هذا النحو اعتبر «الشـــاذلى» أن عمله فى لندن ســـيكون بالفعل نوعا من التكريم، خاصة أنه كانت «للشـــاذلى» خبرة ســـابقة فـــى العمل بلندن

فـــى عهد عبدالناصر عندما كان ملحقـــا حربيا لمصر هناك فى الفترة من ١٩٦١م إلى ١٩٦٤م بعد عودته من الكونغو.

ووقتها - ١٩٦١م - وجد «الشـــاذلى» فى هذا التكليف من الرئيس عبـــد الناصر تكريما خاصا له وأضاف إلى خبرته العملية الكثير، فلأول مرة ركب فيها «الشـــاذلى» حاملة طائرات كانت فى لندن، وحضر أيضا مناورات للجيش البريطانى لمدة أسبوع كامل ومتواصل هناك، ليتعرف خلاله إلى الأســـلحة الحديثة ويتدرب على استخدامها، واكتسب ثقافة وخبرة الاحتكاك بالقوات الأجنبية، والتقى بالقيادات العسكرية هناك فى كثير من المناسبات وقام بمناقشاتهم فى كثير من الأمور العسكرية.

وكانت تجربة «الشـــاذلى» فـــى لندن وقتها بالقطـــع إضافة لحصيلته السياسية والدبلوماسية والعسكرية فى ذاك الوقت. واستفاد «الشاذلى» من هذه الخبرة بتطبيقها أثناء إعادة إعداد الجيش المصرى لحرب أكتوبر.

وقبل ســـفره بأيـــام قليلة قابل اللـــواء رفعت حســـنين نائب مدير المخابـــرات العامـــة وأخبره أن لديـــه معلومات تفيد بـــأن مجموعة من المتعصبين الإسرائيليين سوف يسافرون إلى لندن خصيصا لاغتيال الفريق «سعد الشاذلى» هناك، وأن المخابرات الإنجليزية لديها المعلومات نفسها ونصح «الشاذلى» بالحذر الشديد وعدم الإعلان عن موعد سفره ليبقى سرا لإحباط محاولة اغتياله! ولكن ما أن وصل الفريق الشاذلى إلى لندن حتى وجد متاعب ومفاجآت مذهلة كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانه.!!

مفاجأة مذهلة للشاذلى فى لندن!!

استقبلت المتاعب والمفاجآت السفير «الشاذلى» عند وصوله إلى لندن عندما بدأ في مواجهة حملة صهيونية ضد تعيينه سفيرا لمصر هناك. وكتب عنها وقتها موسى صبرى بجريدة الأخبار فى ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م الذى كان يعرف الفريق «الشاذلى» عن قرب وسبق له أن أجرى معه حوارات بعد نصر أكتوبر من قبل، وجاء فى عرضه لاتهامات الصهيونية ضد السفير «الشاذلى»: إن هذه الحملة كانت تعتمد على اتهامين، الأول أن «الشاذلى» عندما كان ملحقا حربيا فى لندن فى الستينيات كان على علاقة بالحزب اليمينى المتطرف (وهو حزب غير معترف به في بريطانيا) الذى كانت سياسته تتسم بالعداء للسامية، وأن «الشاذلى» كان يقوم بتشجيع الحزب وأكد «الشاذلى» مدافعا ضد هذا الاتهام أنه اتهام باطل فلا يمكن له أن يكون ضد السامية لأنه عربى وأصول العرب التاريخية من أصل سام. والفرق كبير بين الخلاف مع إسرائيل كعدو وبين معاداة السامية وأنكر «الشاذلى» هذا الاتهام.

أما الاتهام الثاني فكان مفاده أن «الشاذلى» عندما كان رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى خلال معارك أكتوبر أمر بقتل الأسرى الإسرائيلين، والحقيقة أن «الشاذلى» لم يُصدر هذا الأمر سواء قبل

العمليات الحربية أو أثناءها أو حتى بعدها، لكنه أصدر توجيه لقواته بتوخى الحذر الشديد عند مواجهة العدو تجنبا لمكر العدو وخداعه، وأصدر أوامره بالإسراع بالإجهاز على العدو وقتله وهذا أمر طبيعى فى المعارك. فلا يُعقل أن يوصى جنوده وضباطه أن يقابلوا عدوهم عند مواجهته بالأحضان والقبلات. وهكذا فشلت القوى الصهيونية فى عرقلة تعيين «الشاذلى» سفيرا لمصر فى لندن. (انتهت الفقرة المختصرة من مقال موسى صبرى بجريدة الأخبار فى ٢٩ / ٧ / ١٩٧٤م)

ولم يعبأ السفير «الشاذلى» بهذه المتاعب المفتعلة وجعل تركيزه الأول فى مهمته العسكرية التى أتى من أجلها وبادر بتحديد موعد لمقابلة السفير الألمانى ليتعرف إلى فرص التعاون العسكرى المرتقب بين مصر وألمانيا والتى جاء خصيصا للاتفاق عليها، وتوقع «الشاذلى» أن المقابلة قد تطول، ولكن المفاجأة التى كانت بانتظاره جعلت المقابلة تنتهى فور بدايتها وانتهت بدهشة «الشاذلى» بعدما عرف من السفير الألمانى أنه ليس هناك نية فى مساعدة مصر بتسليح ألمانى، فاكتشف «الشاذلى» لحظتها أن المهمة التى كلفه بها السادات كانت فكرة وهمية ليس لها أى أساس من الصحة، وأن مجيئه إلى لندن والعمل بالخارجية كانت محاولة من السادات لإبعاده وإقصائه عن مصر بعد تألقه وانتصاره (روزاليوسف، ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٥م).

وبالرغم من أن عمل «الشاذلى» سفيرا بالدرجة الممتازة ليس بالمنصب الهين فإن وقع المفاجأة كان كبيرا عليه، وزاد من دهشته الثقة التى

كانت بينه وبين الرئيس، فسبق أن حظى «الشاذلى» بتقدير السادات من قبل بترقيته رئيسا للأركان متخطيا بترقيته ٤٠ لواءً من زملائه، وعهد إليه الرئيس بوضع مشروع استراتيجى لإعادة إعداد الجيش لمعركة النصر قبل وبعد إجلاء الروس عن مصر، والسادات هو الذى وافق من قبل ذلك «للشاذلى» بإجراء مباحثات مع بعض الدول العربية لدعم مصر فى حرب أكتوبر وأتت ثمارها فى نصر أكتوبر، والسادات هو الذى كلف «الشاذلى» بوضع خطة العبور والتى نجحت المرحلة الأولى منها نجاحا باهرا أذهل العالم.

وبرغم ذلك أحدثت هذه الواقعة شرخا كبيرا فى جدار الثقة الذى كان يرتكن عليه «الشاذلى» فى علاقته بالرئيس السادات، واكتشف «الشاذلى» وقتها بُعد المسافة التى تفصل بين تفكيره كرجل عسكرى محترف، وتفكير الرئيس السادات ودهائه السياسى، فالسياسة متخمة بالألاعيب ولها قواعد كان السادات يتقنها جيدا ويمارسها ببراعة فائقة.

ولكن لأن الفريق «الشاذلى» كان يتمتع بشخصية صلبة وعنيدة فى مواجهة مثل هذه الصدمات، فلم يدع الفرصة لصدمته فى السادات أن تنال منه وأخذ يمارس عمله الدبلوماسى بمنتهى الحماسة للعمل والاستمتاع به.

وتحكى السيدة عبلة عادل خيرى عن واقعة لقائها بالسفير «سعدالشاذلى» أثناء عمله سفيرا لمصر بلندن فى أواخر ١٩٧٤م قالت عنها:

«استقبلنى السفير المصرى الفريق «سعد الشاذلى» مع أسرتى فى السفارة المصرية بلندن حيث أقام لى حفل تكريم كبير دعا إليه كبار الشخصيات والإعلاميين والسفراء للاحتفال بى هناك فور إعلان وسائل الإعلام العالمية نجاحى فى عبور المانش، وكنت وقتها أول فتاة عربية مصرية تنجح فى عبور المانش وكان عمرى وقتها ١٥ عاما. وكنت قد حققت بعبورى هذا رقما قياسيا عالميا كأصغر سباحة فى العالم آنذاك، وكان نجاحى حدثا عالميا وفخرا لمصر نلت عنه التكريم، وكتبت عن نجاحى الصحف المصرية والأجنبية، وكان السفير «الشاذلى» فخورا بإنجازى وعبر عن ذلك فى كلمته التى ألقاها أمام ضيوف الاحتفال الذى أقامه خصيصا لى فى السفارة المصرية وصف فيه نجاحى بأنه ثانى عبور ناجح للمصريين، وكان حفل تكريمى من السفير «الشاذلى» هو أول تكريم حصلت عليه قبل عودتى منتصرة لمصر، وظل ذكرى سعيدة لأسرتى لأول وآخر لقاء جمعنا بسفير مصر فى لندن الفريق «الشاذلى»».

واستمر «الشاذلى» فى عمله الدبلوماسى بنفس حماسه المعهود يعقد اجتماعاته ويحضر مؤتمرات ولقاءات ويدلى فيها بتصريحاته كقائد عربى منتصر، لكنه لم ينس أبدا فى ممارسته لعمله الدبلوماسى أنه تابع للسلطات المصرية، وبرغم ذلك كان قدره أن تلاحقه المتاعب أينما ذهب فكانت المفاجأة الجديدة هى استدعاء وزير الخارجية إسماعيل فهمى للسفير «الشاذلى» بشكل طارئ للقاهرة للتحقيق معه بشأن ما نسب إليه مؤخرا من تصريحات.

المتاعب تلاحق السفير الشاذلى فى لندن

عاد الكاتب الصحفى موسى صبرى يكتب فى الأخبار فى ١٨ / ٩ / ١٩٧٤م تحت عنوان (حاقدون... حاقدون) عن أسباب استدعاء وزير الخارجية للشاذلى فى مصر وجاء فى مقاله:

نشأت قصة غريبة بين (السفير) الصحيفة و(السفير) الرجل «سعد الشاذلى»، والسفير صحيفة مجهولة للقراء فى مصر وصدرت من بيروت، وكانت قد نشرت تصريحات كاذبة للسفير «سعد الشاذلى» وادعت الصحيفة فيها بما لا يجب أن يصدر عمن يمثل سياسة مصر بالخارج وجاء فيما نشرته «إن «الشاذلى» سفير مصر حضر اجتماعا فى النادى المصرى بلندن للطلبة العرب كان قد أقيم لتكريمه تقديرا لدوره فى حرب أكتوبر، وبالرغم من أن «الشاذلى» اشترط فى أسئلة الحاضرين ألا يكون فيها أى مساس بأى دولة عربية أو أى زعيم عربى، فإن الصحيفة ادعت باطلا أن السفير «الشاذلى» ورد فى إجاباته:

أنه اتهم القيادة السياسية فى مصر بأنها تراجعت خلال حرب أكتوبر عن الاستراتيجية التى كانت تعتمدها من قبل مما أدى إلى حدوث الثغرة وخروج مصر من المعركة، وأن القيادة المصرية استهانت وقللت من أهمية الثغرة فى المراحل الأولى إلى أن حدثت الثغرة (وهذا

مالم يصدر عن الشاذلى)، كما ادعت الصحيفة أن السفير «الشاذلى» طالب الشباب الثورى المثقف بأن عليه أن يعمل على ألا تخرج مصر من المعركة (وهذا مالم يصدر عن الشـاذلى) بينما كانت الحقيقة أن «الشاذلى» طالب بمسـاندة مصر ودعمها لأن انتصارها فى أكتوبر كان نصرا لكل العرب وأن معركتنا مع إسـرائيل لم تنته بعد، وأسرفت الصحيفة وبالغت فى ادعاءاتها الكاذبة التى أحرجت بها «الشاذلى» مع القيادة السياسية فى مصر، وادعت أن «الشـاذلى» وصف نفسـه بالزعيم القـادم لمصر (وهذا أيضا لم يصدر عن «الشـاذلى») فهل كان «الشـاذلى» بالفعل صاحب هذه التصريحات أم كان مُفترى عليه ؟

ويستكمل موسى صبرى فى مقاله فيقول:

فى لقاء «الشاذلى» مع الوزير إسماعيل فهمى بالقاهرة كذَّب «الشاذلى» كل هذه الادعاءات ووصفها بأنها ملهاة تافهة وسـاذجة ومليئة بعبث مسـئولية الكلمة، وأكد على حقيقة أنه لما علـم بأن الاجتماع (موضوع الخلاف) كان يضم ممثلين لاتجاهات سياسية عديدة (شيوعية وبعثية وغربية وشـرقية وسـوفييتية وصينية وغيرها) نبه «الشاذلى» الجميع أنه لن يسمح بأى كلمة بها مساس بأى دولة عربية أو أى زعيم عربى، وأنه اشـترط وأكد على الحاضرين أنه سـيضطر إلى رفـض الإجابة عن أسـئلة معينة حفاظا على مسئولية موقعه الدبلوماسى، وأن إجابته عن الثغرة ذكر فيها أنها حدثت نتيجة أخطاء وأنه كان يمكن القضاء عليها فـى المراحل الأولى، وأنه بدافـع وطنيته وحبه لمصر دعا الدول العربية

بتحمل أعباء الحرب مع مصر ومساندتها، وأكد على ولائه للقيادة السياسية في مصر وأنه جندى في معركة بلاده أيا كان موقعه، وأن ما حدث هو مؤامرة واضحة للعيان ضده وضد وطنه مصر تهدف إلى تشويه الانتصار المصرى وإفساد علاقته بالسلطات المصرية التى يعمل تحت لوائها ووصفهم بالحاقدين. وأكد «الشاذلى» أن بعض الحاقدين قد يتصورون بفعلتهم هذه وبتحريفهم لكلماته أنهم سينجحون فى تجريح ولائه لمصر ووطنيته بعدما نسبوا إليه كلاما لم يصرح به، كما أكد «الشاذلى» في اجتماعه (موضوع الخلاف) تعمد إسرائيل المراوغة لكسب الوقت الذى يتيح لها تضميد جراح معارك أكتوبر لتستعد لشن حرب مفاجئة ضد العرب للثأر من هزيمتها فى حرب أكتوبر.

وهكذا نجح السفير «الشاذلى» فى إقناع وزير الخارجية بوجهة نظره وانتهت الأزمة بعد التوضيح الذى قدمه فى القاهرة وعاد «الشاذلى» إلى عمله فى لندن.

إشتعال الخلاف بين الشاذلى والسادات:

تتابعت المتاعب على حياة السفير «الشاذلى» فى لندن، ويحكى «الشاذلى» عنها في حلقة من مذكراته في (جريدة الأحرار) ذكر فيها أن الرئيس السادات أجرى حديثا مع سليم اللوزى رئيس مجلة الحوادث وألقى فيه الرئيس بمسئولية الثغرة كاملة على الفريق «الشاذلى» وأرجعها لمخالفة «الشاذلى» توجيهاته، كما ذكر إن الفريق «الشاذلى»

عاد من الجبهة أثناء حرب أكتوبر منهارا فاضطر السادات إلى السعى لوقف إطلاق النار إنقاذا للموقف.

أزعجت «الشاذلى» هذه التصريحات حتى إنه وصفها بادعاءات باطلة وأنكرها وأسرع ليعلن في حفل دعا إليه العديد من السفراء في بريطانيا إنكاره لاتهام السادات له بالانهيار، وأعلن أنه لو كان السادات اهتم برأى «الشاذلى» لقضى على الثغرة فى زمن قياسى وتجنب خسائر كبيرة تكبدتها القوات المسلحة، ولم يكتفِ «الشاذلى» بذلك بل ذكر أن خلافه مع السادات حول الثغرة كان بسبب أن السادات يفتقد الخبرة القتالية فى ميدان القتال، فقد قضى سنوات كثيرة من حياته العسكرية بين السجون السياسية قبل أن يصل إلى قمة السلطة السياسية فى مصر، وأن السادات لم يشارك فى أى حرب ولا يعرف أجواءها وأهوالها التى يعرفها «الشاذلى» جيدا وتدرب على مواجهتها مرات ومرات، فلم يصب «الشاذلى» ولا مرة فى أشرس المعارك وخلال تاريخه العسكرى الطويل (ربع قرن) بما أسماه السادات الانهيار، وفى نهاية اللقاء أكد «الشاذلى» أن السادات هو الذى انهار نفسيا وليس «الشاذلى».

للمرة الثانية وزير الخارجية يستدعى الشاذلى فى القاهرة!

وعلى ضوء هذه التصريحات استدعى وزير الخارجيه «الشاذلى» إلى القاهرة وطالبه بتكذيب كلامه ولكن «الشاذلى» رفض، فما كان أمام

السـادات لمعاقبة «الشـاذلى» علـى تصريحاته إلا أن أصـدر قرارا بنقل «الشـاذلى» إلى البرتغـال عقابا له على تصريحاته بعـد عام واحد قضاه سفيرا لمصر بلندن.

وكتبـت جريدة الأهـرام فـى ١/ ٨/ ١٩٧٥م خبر اسـتقبال ملكة إنجلترا السفير «سعد الشاذلى» بمناسبة انتهاء مهمته الدبلوماسية فى لندن، لينتقل بعدها سـفيرا لمصر فى البرتغال ويتولى عمله الدبلوماسى الجديد هناك مع بداية سبتمبر ١٩٧٥م.

فهل انتقال «الشاذلى»من لندن إلى البرتغال وضع نهاية لمتاعبه؟



أنشطة جديدة للشاذلى فى البرتغال

فقد «الشاذلى» بنقله إلى البرتغال فى سبتمبر ١٩٧٥م الكثير من الامتيازات التى كان يتمتع بها فى لندن كواحدة من كبرى العواصم الأوروبية، ولكنه لم يسمح لأى مشاكل أن تنال من حماسه وتقلل من عزيمته فى أداء مهامه الدبلوماسية فى البرتغال. فقد كان «الشاذلى» محبا للحياة مهما كانت تقلباتها. شغوفا بعمله أيا كان موقعه، فمهما تغيرت ظروفه لم يؤثر أى تغيير فى شخصيته. فظل يواصل عمله بنفس الحماس ويدين بولائه الصادق لوطنه مصر، وكأن إحساسه بالظلم كان يزيده عنادا وإصرارا على النجاح. فانطلق بنشاطاته فى البرتغال التى لفتت إليه الأنظار وزادت من شهرته هناك. بدأها بتعلم اللغة البرتغالية لغة البلد التى يعمل بها.

وحول ذكرياته فى البرتغال أجرت زوجته حوارا قصيرا نُشر فى جريدة الشعب فى ٥ مارس ١٩٩٢م بعد عودتها من الجزائر للقاهرة تحدثت فيه عن ذكرياتها مع «الشاذلى» فى البرتغال فقالت:

«فور انتقالنا إلى البرتغال فى سبتمبر ١٩٧٥م بدأ السفير «الشاذلى» بإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية فى محاولة جادة لنشرها بين شعب البرتغال، وجعل من بيته أول مكان يُرفع منه أذان الصلاة منذ أن ترك

المسلمون البرتغال فى العصور القديمة، بعد أن حول الدور الأرضى من منزله إلى جامع يقصده مسلمو البرتغال للصلاة، وكان حارس المنزل يقوم برفع الأذان للصلاة، ثم حل محله السائق التركى للسفير الذى لم يكن يعرف من العربية سوى كلمات الأذان والإقامة، ومع مرور الأيام أصبح بيت «الشاذلى» مكانا يقصده المسلمون للاحتفال هناك بأعيادهم فكانوا يقضون مع أسرهم احتفالات العيد فى بيت السفير «الشاذلى»! وأول هذه الاحتفالات كانت حدثا كبيرا تحدثت عنه الصحف وحضره الصحفيون والمصورون.

لازال الحديث لزوجة «الشاذلى»:

وشجع ذلك السفير «الشاذلى» أن يطلب من الحكومة البرتغالية التصريح ببناء مسجد للمسلمين هناك، وصدرالتصريح بالفعل وتم جمع التبرعات لبنائه ووضع «الشاذلى» حجر الأساس وأقيم المسجد على مساحة كبيرة، وأرسل «الشاذلى» إلى مصر فى طلب داعية من الأزهر، وتم استئجار شقة للشيخ الداعية كانت إحدى غرفها مدرسة لأبناء الجاليات الإسلامية ليتعلموا فيها الإسلام، إلى جانب أنشطة ثقافية أخرى وضع بها «الشاذلى» بصماته فى البرتغال خلال ثلاث سنوات متتالية قضاها هناك من ١٩٧٥م حتى ١٩٧٨م لتُزيد إنجازاته الخيرية والإنسانية فى البرتغال من شهرته هناك. {إلى هنا انتهى حوار زوجة الشاذلى جريدة الشعب}

السادات يعاود مهاجمة الشاذلى من جديد

فــى إبريل ١٩٧٨م صدر للرئيس الســادات الطبعة الأولى من كتابه «البحث عن الذات» الذى ســجل فيه للتاريخ مســئولية «الشــاذلى» عن الثغــرة وذلك فى الفقرة الثانية من صفحــة ٢٧٣ من الكتاب والتى جاء فيها :

إنه فى يوم ١٦ أكتوبر أرسل الرئيس السادات رئيس الأركان الفريق «سعد الشــاذلى» للتعامل مع الثغرة ورأى الســادات أنه كان من السهل جــدا التعامل مع الثغرة فــى ذلك اليوم ولو أن «الشــاذلى» نفذ ما طلبه الســادات منه والفريق أحمد إسماعيل فى التوقيت الذى حدده السادات له لأصبح من الســهل القضاء على الثغرة، ورأى الســادات إنه كان فى إمكان «الشاذلى» أن ينتهى من العملية كلها بعد وصوله بساعات، فاتهم «الشــاذلى» بإضاعة الليلة بأكملها فى جمع المعلومات وإنشــاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الفريق أحمد إسماعيل.

وأضاف السادات فى نفس الصفحة من كتابه :

إن قــوات الصاعقة كانت قــد تقدمت إلى الدفرســوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول واعترف الإســرائيليون بشراســة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة.... ولكن «الشــاذلى» أعطاهم الأمر بالانســحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود فى الثغرة.

وكان «الشــاذلى» يرى ضرورة ســحب بعض قواتنا من شــرق القناة للمعاونة فى القضاء على الثغرة لأن الغرب مهدد... بينما رأى السادات

أن هذا ما كان يريده الإسـرائيليون... فذهب الرئيس في منتصف ليلة ١٩ / ٢٠ أكتوبر إلى القيادة حتى يتخذ قرارا مهما بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة وأن السادات جمع القادة في هذه الليلة وكانوا جميعا من رأى السـادات بعدم سحب قوات من الشرق، فأعطى السادات الأمر بأن لا ينسـحب جندى واحد ولابندقية واحدة ولا أى شيء من شرق القناة وأن التعامل مع الغرب يتم حسـب الأوضاع الموجودة ورفض السـادات بذلك خطة الشـاذلى لمواجهة الثغرة. إلى هنا انتهت فقرة أسـباب عزل السادات للشاذلى التى وردت فى كتاب (البحث عن الذات)وكانت سببا فى اشتعال الخلاف بين «الشاذلى» والسادات.

ومما زاد من غضب «الشـاذلى» أن السـادات ذكر فـى كتابه نفس تصريحه من قبل أن الشاذلى عاد منهارا فى ١٩ أكتوبر، فاضطر السادات أن يعطى تعليماته فى هذه الليلة بعزل «الشاذلى» من رئاسة الأركان.

ذلـك لأن «الشـاذلى» رأى أن تصريحات السـادات فى كتابه حملت الكثـير من المغالطات ووصفها بأنها تصريحـات ظالمة وكاذبة لأن فيها إدانـات وتلميحـات بتقصير «الشـاذلى» فى واجبه العسـكرى فى أيام الثغرة ومخالفته لتعليمات الرئيس، وكان رأيه أن هذا لم يحدث.

وفى ١٩ يونيه ١٩٧٨م قام «الشـاذلى» بالرد على ادعاءات السـادات فـى مؤتمـر صحفى كبير فى سـفارة مصـر بالبرتغال ضـم العديد من الشخصيات الدبلوماسـية الهامة دافع فيه «الشاذلى» عما أسماه سمعته

العسكرية وأنكر وبإصرار ما ورد فى كتاب السادات من انهياره، وذكر أن السادات هو الذى انهار مرتين فى أيام الثغرة ووصف زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧م بأنها خطأ سياسى من السادات، ورأى أن الخطأ الثانى الذى ارتكبه السادات هو إقباله على كتابة مذكراته وهو لايزال فى السلطة ووصفها «الشاذلى» بأنها أول حالة لرئيس دولة فى العالم يكتب مذكراته وهو فى السلطة .

وحول حقيقة انهيار «الشاذلى» جاء فى شهادة محايدة للمشير الجمسى سجلها للتاريخ فى صفحة ١١٦ من كتاب محمود فوزى (أسرار الصدام بين السادات والشاذلى) : أن «الشاذلى» عندما عاد من الجبهة فى ٢٠ أكتوبر لم يكن منهارا كما وصفه الرئيس السادات فى مذكراته بعد الحرب.

إحالة الشاذلى إلى محكمة القيم!

وظل إحساس «الشاذلى» بالظلم يشعل فى صدره غضبا لا يهدأ دفعه بالإخلال بواجبات وظيفته الدبلوماسية، فبحلول شهر يونيه ١٩٧٨م بدأ «الشاذلى» بالتهجم على النظام فى مصر ولم يلتفت إلى أن عمله جزء من منظومة الدولة التابع لها (مصر)، وسجل مبرراته وأسبابه فى خطاب ووزعه على وكالات الأنباء فى البرتغال، وكان لهذا العمل رد فعل أغضب السلطات فى مصر فأصدر وزير الخارجية وقتها محمد

إبراهيم كامل فى ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨م قرارا بوقف السفير «الشاذلى» عن العمل سفيرا لمصر فى لشبونة بالبرتغال لإخلاله بواجبات وظيفته واستدعائه للعودة والمثول أمام مجلس تأديب وفقا لقانون السلك الدبلوماسى والقنصلى. (خبربالأهرام بتاريخ٢٠ / ٦ / ١٩٧٨).

فى الوقت الذى قابل فيه السادات مهاجمة «الشاذلى» وتحديه له بقرار إحالة «الشاذلى» إلى المدعى الاشتراكى الذى قرر بدوره إحالة «الشاذلى» إلى محكمة القيم، والتى قضت وقتها بحرمانه من الحقوق المدنية لمدة خمس سنوات.

وبرغم ذلك،لم تنل هذه الأحكام من إصرار «الشاذلى» على استمراره فى الدفاع عن نفسه ضد تصريحات السادات لأنه كان يرى أن هذه الأحكام ظالمة وإحساسه بالظلم كان أكبر من أى عقاب، وعندما تمت اتفاقية كامب ديفيد فى نفس العام ١٩٧٨م انتهزها «الشاذلى» فرصة ليوجه لبنودها انتقادات حادة وأكد أنها لصالح إسرائيل وضد مصلحة مصر، وحذر من آثارها السلبية مستقبلا فى مصر.

هذه المرة دفع «الشاذلى» ثمنا باهظا لتهجمه على النظام فى مصر وخروجه على العرف الدبلوماسى وذلك بفصله من منصبه سفيرا لمصر بالبرتغال لتنتهى بذلك مهمته الدبلوماسية فى البرتغال.

وأصبح على «الشاذلى» إما أن يعود إلى وطنه مصر لينال عقابه، أو أن يختار أن يعيش فى بلد آخر، ولما خشى العودة إلى مصر تحسبا لانتقام

السادات، فأراد أن يتجنب تلك المخاوف باختياره الجزائر ليعيش فيها، إذ كانت الجزائر فى ذاك الوقت بلدا ديمقراطيا تحكمها جماعات (مجلس قيادة الثورة)، إلى جانب أن الجزائر كانت من الدول المعارضة لاتفاقية كامب ديفيد، وكانت من الدول المقاطعة لمصر آنذاك، وجاء اختياره هذا تجنبا لوقوعه تحت سيطرة الحاكم فى أى دولة عربية أخرى خاصة بعد رفضه لطلب الرئيس صدام حسين في استضافته فى العراق. عاش «الشاذلى» بها ١٤ عاما منذ مغادرته البرتغال ١٩٧٨م حتى عودته لمصر ١٩٩٢م. فهل انتهت متاعبه بانتقاله للجزائر؟



الجزائر تستقبل الشاذلى بحفاوة بالغة

انتقل «الشـاذلى» ليعيش فـى الجزائر ضيفا سياسـيا يقيم على نفقته الخاصة ولم يكن لاجئا سياسيا، وهناك وجد الحياة الآمنة التى كان يبحث عنها فقد رحبت السـلطات باستقباله وامتدت إقامته فيها ١٤ عاما مـن ١٩٧٨م حتى عودته لمصر فى ١٩٩٢م، وحظى «الشـاذلى» هناك بإقامة فاخرة وحفاوة بالغة تكريما لمكانته العسـكرية فى الوطن العربـى كقائد أول حرب عربية منتصرة فـى تاريخ العرب الحديث، وهناك وجد الفرصة لانطلاق نشـاطاته الكثيرة والتى تحدى بها غربته وقاوم بها وحشة البعاد عن وطنه، فاقتنى فى منزله مكتبة هائلة ضمت أكثر من ٥٠٠ كتاب تحمل عناوين هامة سياسـية وعسـكرية وإنسانية تعكس شـغفه بالثقافة والمعرفة، وكان «الشـاذلى» يُدعى إلى المؤتمرات والندوات متحدثا ليُلقى فيها محاضراته.

وأصدرهنـاك جريـدة «الجبهـة» ليكتـب مقالاته الشـهيرة على صفحاتهـا واتخذ منها متنفسـا يكتب فيها عن ظلم السـلطات المصرية له ويدافع عن نفســه ويعارض على صفحاتها بنود اتفاقية كامب ديفيد التى أبرمها السـادات مع إسرائيل وجعلت من سـيناء منطقة منزوعة السلاح، واستمر نشاطه فيما أسماه (الجبهة الوطنية المصرية بالخارج)

والتى ضمت ٥١ شـخصية مصرية كانت من بينهـا د. حكمت أبو زيد الوزيـرة السـابقة، وعبد المجيد فريد الوزير السـابق، ومحمود أمين العـالم الكاتـب وغيرهم، لإعلان معارضتهم سياسـة الحكم فى مصر، ونتيجة ذلك أعلن المدعى العام الاشـتراكى فى مصر إحالة «الشاذلى» و٨ آخرين إلى محكمة القيم وإبلاغ نيابة أمن الدولة لمحاكمتهم جنائيا.

كما نشـرت جريدة الأحرار فى ١ / ١٠ / ١٩٨١م أن «الشاذلى» اتهم الرئيس السـادات بالخيانـة والعمالة.. وأذاع ذلك فـى إذاعات العالم ونشـره فى المجـلات الأجنبيـة ودول الرفض العربيـة، ولم يكتفِ «الشاذلى» بذلك ليطفئ غضبه وشعوره بالظلم الحبيس بصدره، بل أرسل خطابا إلى النائب العام المصرى من قبل فى ١٩٧٩م يطلب منه أن يحاكم الرئيس السـادات وأرفق بخطابـه صحيفة اتهام الرئيـس وذكر فيها للنائب العام أن شـرط حضوره لمصر هـو أن تتم محاكمته علانية تجنبا لانتقام السـادات منه، فبدون المحاكمة قد يسجنه السادات أو يقتله.

(المذكرة وردت فى مذكرات الشاذلى وهذه كانت تصورات الشاذلى)

حرمان الشاذلى من حقوقه السياسية وفرض الحراسة على أمواله

وفـى ١٥ / ١١ / ١٩٨١م قضـت محكمـة القيم بحرمان «الشـاذلى» وآخريـن من أعضاء (الجبهة الوطنية المصرية) من حقوقهم السياسـية وفرض الحراسـة على أمواله وممتلكاته، وجـاء فى قرار المحكمة أن

قانون حماية القيم من العيب رتب المساءلة السياسية حيال كل ما نشر أو أذيع من شأنه الإضرار بمصلحة البلاد القومية. وحيث إن المتهمين لم يحضروا فقضت المحكمة بحكمها غير القابل للمعارضة.

الشاذلى يرد على اتهامات السادات بمذكراته عن حرب أكتوبر

وزادت هذه الأحكام من إحساس «الشاذلى» بالظلم من الأحكام التى تتوالى ضده بينما السادات ينعم بمدح كتابه (البحث عن الذات) الذى احتوى فى رأى «الشاذلى» على كثير من المغالطات، وكان من الصعب حسب شخصية «الشاذلى» العنيد فى الحق أن يستسلم لشعوره بالظلم، وما كان يرضيه ويضمد جراحه وينصفه أمام التاريخ إلا إتمامه لكتابة مذكراته عن حرب أكتوبر والتى كان قد بدأها فى البرتغال، ليدافع فيها باستفاضة عن سمعته العسكرية ويرد فيها بالوقائع المؤرخة والتفاصيل العسكرية الدقيقة على ما رأى أنها ادعاءات باطلة من السادات، ويكشف من وجهة نظره الحقائق بالدلائل والأرقام والحسابات والتواريخ الدقيقة على الأحكام التى صدرت ضده فى مصر والتى وصفها بالظالمة.

ولم يتصور «الشاذلى» بعد انتهائه من تأليف مذكراته عن حرب أكتوبر فى كتاب أن نشر الكتاب سيلاقى صعوبات بالغة فى الدول الأجنبية، فبالقطع ما كان يمكن لهذا الكتاب وما يحمله من هجوم ضد

الســادات أن يصدر في مصر، ولكن ابنته (شهدان الشاذلى) التى كانت تعيش وقتهــا مع زوجها فى أمريكا ذللت له الصعاب، وقامت بنشــر مذكرات والدها عن حرب أكتوبر بعدما رفض ناشرون فى الخارج نشر هــذه المذكرات، واضطرت إلى طبع الكتاب علــى نفقتها الخاصة لتكون لها اليد الطولى فى إظهار براءة والدها للتاريخ. وهنا يلفت نظرى نتاج إعداد «الشاذلى» الأب ابنته شهدان منذ الصغر فى شجاعتها ومثابرتها الدءوبة في رحلتها الشــاقة لصدور كتــاب والدها برغم ما واجهته من صعوبات النشر ليحصد «الشاذلى» فى مساندتها حصاد تنشئته لها.

وبعــد طول جهد صــدر الكتاب (مذكرات حــرب أكتوبر) واعتبر «الشاذلى» هذه المذكرات تاريخية وفريدة لأنها السيرة الذاتية الوحيدة لقائــد عربى معاصر، كتبها آســفا وغاضبا ومُكرهــا بعد أن قضى عمره كله جنديا فــى خدمة بلاده، وأهداها إلى جنود وضباط مصر البواســل وعبرفيهــا عــن فخره بكل يوم أمضاه بينهم رئيســا للأركان والذى تم خلاله التخطيط والتنفيذ لأول هجوم عربى ناجح ضد إســرائيل، وأشار إلى أن أجــزاء القصــة معروفــة لآلاف الأفراد وبعضهــا يعرفها المئات وأجزاء أخرى لايعرفها إلا أفراد يُعدون على الأصابع.

واختتم «الشــاذلى» مذكراته عن حرب أكتوبر بالإشارة إلى الخطاب الــذى وجهه إلى النائــب العام المصرى وطالب فيه بمحاكمة الســادات واتهمه بالإهمال الجسيم أثناء إدارة الثغرة، وتزييف التاريخ والكذب

وإساءة استخدام السلطة ضد «الشاذلى». واختتم الشاذلى طلبه بقوله: «والآن وقد أذيعت الأسرار كلها التى كان يخفيها السادات، فقد آن الأوان أن نجرى حوارا فى مصر نناقش فيه أخطاءنا ونحدد المسئول عنها لنعرف من هم أبطال حرب أكتوبر الحقيقيون».

وتم نشر الكتاب باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية فى دول كثيرة إلا مصر، وأغضب ذلك السلطات السياسية والقضائية فى مصر، وصبت مذكرات «الشاذلى» من جديد بمزيد من الزيت على نار الخلاف المشتعل بينه وبين السادات فزادتها تأججا واشتعالا.

الحكم غيابيا على الشاذلى بالسجن ثلاث سنوات

وكان من الصعب على السادات من موقعه رئيسا للجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة أن يتقبل ما جاء فى مذكرات «الشاذلى» من هجوم ضده. فجاء الرد من السادات بمحاكمة «الشاذلى» وصدر حكم المحكمة العسكرية غيابيا بالسجن ثلاث سنوات «للشاذلى» بتهمة إصدار كتاب عن حرب أكتوبر دون استصدار إذن كتابى من السلطات المصرية العسكرية بالنشر وهى تهمة لم ينكرها «الشاذلى».

وأما التهمة الثانية وهى إفشاء أسرار عسكرية فى كتابه فقد رفضها «الشاذلى» بدعوى أن تلك الأسرار المزعومة كانت أسرار حكومية وليست أسرارا عسكرية، ورأى أن الفرق كبير بين الاثنين، وبرغم ذلك صدر

الحكم غيابيا بسجن الشاذلى ثلاث سنوات! وحرمانه من التمثيل القانونى وتجريده من حقوقه السياسية ووضع أملاكه تحت الحراسة .

لكن «الشاذلى» لم يعترف بالمحاكمة لأنها أجريت غيابيا، ولم يُخطر بها وعلم بها من الصحف، ودفعه ذلك أن يستمر فى معركته ضد السلطة فى مصر مدافعا عن تاريخه العسكرى من خلال لقاءاته ومؤتمراته التى كان يشارك فيها ويجيب عن أسئلة الصحفيين حول مشكلته مع النظام فى مصر، واتهم السلطة المصرية بالديكتاتورية لأنها لم تتح له فرصة الدفاع عن نفسه، وأكد على براءته فى حالة محاكمته حضوريا.

وبدأ «الشاذلى» يواجه حربا إعلامية من إعلام وطنه مصر، عندما شنت الأقلام الصحفية التابعة للنظام فى مصر هجوما شرسا ضد الفريق «الشاذلى» واتهمته بمبالغته فى إحساسه بالظلم وكيلت له التهم الباطلة منها اتهامه بأطماعه بالسلطة فى مصر وبالخيانة لوطنه (روزاليوسف فى ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٥م بعنوان الشاذلى معارض من أجل «كعكة السلطة») وصبت عليه أقبح السباب واللعنات تحت عنوان «الشاذلى فى زبالة التاريخ» (الأخبار فى ١٣ / ١٠ / ١٩٨١م بقلم وجيه أبو ذكرى).

(وفى الأخبار ٢١ / ١٠ / ١٩٨١م كتب موسى صبرى - الذى دافع عن الشاذلى من قبل - كتب بعد صدور الحكم بالسجن ضد الشاذلى يهاجم الشاذلى بشراسة ويصف كلماته بالسوقة والسفالة وانحطاط

الخلــق، واتهمه ظلما بإرســال متفجرات لترتيــب أعمال إرهابية ضد مصــر، واتهمه بشــماتته فى قتل الســادات، وطالب فــى نهاية مقاله بلعنة الســماء على الشاذلى الذى باع وانحنى حتى لامست جبهته عفن المستنقع).

وطالبت إصدارات أخرى بمقاطعة «الشــاذلى» ووصفته بأبشع صفات لاتليــق ببطل فى الجيش المصرى يحمل رتبة فريق، وكان يوما رئيســا لأركان الجيش المصرى والذى حقق تحت رئاســته لأركان الجيش أكبر انتصار عســكرى لمصر والعــرب فى حرب أكتوبــر ١٩٧٣م! وذلك فى الوقت الذى كان فيه «الشــاذلى» يتلقى دعوات من ملوك ورؤســاء عرب منهم صدام حســين الذى كرر دعوته للشــاذلى يدعوه للعمل فى العراق تكريما لمكانته العســكرية فى الوطن العربى، لكن «الشــاذلى» رفض كل العروض ولم يتراجع عن الدفاع عن نفسه لإثبات براءته.

ولكن كيف كان تأثير هذه الحرب النفسية ضد «الشاذلى» فى حياته فى الجزائر التى قضى فيها قرابة ١٤ عاما؟



الشاذلى ينطلق بنشاطاته فى الجزائر

كعادة «الشـــاذلى» بعناده ضـــد ألم الظلم لم يترك لهمومـــه الثقيلة أن تنـــال منه بل ســـارت معركتـــه مع النظام فـــى مصر مع ممارسته لاهتماماته الثقافية والسياسية وحياته الاجتماعية فى خطين متوازيـــين لا يؤثر أحدهما على الآخر، يحرســـه فـــى ذلك إيمانه بالله وبأنـــه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروه بشـــىء فلن يضروه إلا بما كتبه الله عليه.

وأصبحت قضية «الشاذلى» وصراعه مع السادات قضية رأى عام صالت فيها الأقلام الصحفية وجالت، ولم يكن أحد يعلم بالتحديد فى أى دولة كان يعيش «الشـــاذلى» بعد صدور الحكم ضده بالســـجن ثلاث سنوات، وتضاربت الآراء ثـــم أجمعت على أنه يعيش فى ليبيا، ولكن الصحفية سوسن أبو حســـين بمجلة أكتوبر عرفت بالصدفة من مسئول فلسطينى كانـــت تجرى معه حـــوارا بأمر إقامة «الشـــاذلى» بالجزائر فقررت فى جـــرأة صحفية أن تقـــوم بزيارته فى منفاه المختـــار بالجزائر، لتعرف منـــه حقيقة صراعه مع الســـادات والتى جمعتها فيمـــا بعد فى كتابها (قصتى مـــع النظام) وكانت زيارتها «للشـــاذلى» تجربة صحفية خاصة قالت عنها:

(عندما سافرت إلى الفريق «الشاذلى» فى الجزائر عام ١٩٨٢م أتيحت لى فرصة التعرف إلى جوانب إنسانية أخرى فى شخصية الفريق «الشاذلى»، وبينما كنت أسجل آراءه بالورقة والقلم كان الفريق «الشاذلى» يطلب منى أن أكتب على مسطرة وبمسافات متساوية وبالقلم الرصاص والمحاة الجلد، وأن أحافظ على الهوامش وألا أقوم بالشطب فى أى فقرة ولكن أمحوها (بالأستيكا) حتى يبدو ما أكتبه مريحا فى الشكل والمضمون، إلى هذا الحد بلغت دقته، وكنت إذا خالفت تعليماته يرفض الحديث معى حتى ألتزم، والأكثر من ذلك أثناء تسجيلى لأحاديثه كان يقوم بتحفيظى لكل المصطلحات العسكرية ويشرح لى التشكيلات ونوعية الأسلحة وتعريفى بالفرقة والكتيبة والأرقام العسكرية، وعلمنى الفروق بين الأسرار العسكرية والمعلومات الحكومية، حتى إذا تحدثت فيما بعد عن حرب أكتوبر وأنا مدنية اتسم حديثى بالدقة مثل رجال القوات المسلحة وقد عانيت من صعوبة ذلك كثيرا، ولكنى التزمت واكتسبت بذلك العقيدة القتالية وصولا للحقيقة، ويرجع الفضل فى ذلك للفريق «الشاذلى» وكل ذلك أثرى تجربتى الخاصة معه فى الجزائر.كان الفريق «الشاذلى» مهتما بشغف شديد بأحوال العالم العربى مهموما بقضاياه وتمنى أن يكون العالم العربى كتلة واحدة، لكنه رأى أن حكام العرب هم السبب فى الفرقة بين الدول العربية، وأنه لن تتحقق تلك الوحدة التى نحلم بها إلا إذا تغيرت الأنظمة العربية، وبالفعل صدقت توقعاته

مع ربيع الثورات العربية فى ٢٠١١م كان «الشــاذلى» حريصا أن يشترك فى إصدارات عســكرية أجنبية، يواظب على الاطلاع على ما ينشر فيها بانتظــام للتعرف على الجديد فى المجالات العســكرية، وكان يرى أن الانفتاح الإعلامى الذى أصبح عليه العالم أنهى فكرة الأسرار العسكرية وأصبحنــا نطلع بســهولة على ما يجرى فى أى دولــة فى العالم وأنواع الأسلحة التى تســتخدمها، وكان الفريق «الشاذلى» يعشق الكتابة وكان بارعا فيها وصدرت له مؤلفات.

وتستكمل سوسن أبو حسين حديثها فتقول:

على الرغم من الحياة المترفة التى وفرتها له السـلطات فى الجزائر فـإن الفريــق «الشــاذلى» كان يعيش حياة بســيطة جدا يتنــاول فيها المأكولات الشــعبية البسيطة (الكشرى، الفول المدمس وغيرها) ،وكان يتناول كوبا واحدا من الشــاى أو الشاى بالحليب طوال اليوم، ولم يكن يدخن على الإطلاق، كان يســتمتع بكل شىء دون إسراف وكان يمارس رياضته اليومية بانتظام المشــى والســباحة. وكان يهــوى أن يؤدى كل شــىء بنفســه دون مساعدة أحد، فلم يســتعن يوما بسائق خاص كلفته الســلطات بخدمته، بل كان يقود سيارته المرسيدس بنفسه ويتنقل بها بين العواصم التى عمل بها.

وقــد اصطحــب «الشــاذلى» زوجتــه الســيدة زينــات الســحيمى للإقامة معه،والتى كانت سرا من أســرار نجاحه، فكانت

تحترم أسـرار عمله العسـكرى ولا تسـأله قط عنها، وكانت توفر له المناخ الذى يحتاجه عملا بنصيحة والدها الضابط متولى باشـا السحيمى الـذى كان مديرا للكلية الحربية وقت زواجها من «الشـاذلى»، فعرفت أن الله تعالى لم يهب «الشاذلى» عبقريته العسكرية والإنسانية وحسب، ولكن وهبه أيضا الزوجة العظيمة التى نشـأت فى بيت عسكرى لتنتقل بخبرتها الإنسـانية زوجة فى بيت الشاذلى، فحفظت أسراره وأعانته علـى ما لاقاه فى حياته من أزمات. (إلى هنا انتهى حديث سوسـن أبو حسين عن تجربتها الصحفية مع «الشاذلى» فى الجزائر)

جوائز وشهادات من الجد «الشاذلى» لأحفاده

وكانت السـلطات الجزائرية قد خصصت للفريق «الشـاذلى» احتفاء بإقامته على أرضها فيلا فاخرة حولها حدائق واسـعة وملاعب وحمام للسـباحة وسـيارة خاصة وحرس خاص لحمايتـه، مزايا عظيمة ربما لاتتوفـر إلا لرئيس دولة، واعتادت أسـرة «الشـاذلى» بناتـه الثلاثة (شهدان وسامية وناهد الشاذلى) وأحفاده أن يقوموا بزيارته فى الجزائر بالتناوب لقضاء إجازتهم معه وذلك خلال ١٤ عاما قضاها هناك، وكعادة الفريق «الشاذلى» كان يخطط ويرتب لكل شيء بدقة بالغة، ولأنه كانت تغلب عليه طبيعته العسـكرية فى دقتـه وفكره المنظم فكان يضع خطة لقضـاء إجازة أحفـاده معه فى الجزائر ويحكى عـن ذكرياته مع الجد «الشاذلى» فى الجزائر حفيده رجل الأعمال كريم أكرم فيقول:

كنا نشـعر بالتميز بمجـرد وصولنا إلى مطار الجزائـر، فقد كنت وإخوتى وأبناء خالتى فى ١٩٨٥م وقت الزيارة أطفالا فى سـن العاشرة والثانية عشرة، ووقتها جاء لاسـتقبالنا بالمطار حرس خاص لتوصيلنا الى البيـت الفاخر الـذى كان يعيش فيه جدى الفريق «الشـاذلى» حياة مترفة مثل حياة الرؤسـاء، وبرغـم ذلك كان جدى يخبرنا منذ اللحظة الأولى لوصولنا أننا سـنعيش معه حياة بسـيطة عادية، وأننا سـنقضى إجازتنا فى معسـكر تدريبى وليس ترفيهى كما كنا نتوقع، كان جدى ينتهـز فرصة زيارتنا له لتعليمنا وتدريبنا على مهارات عدة، فيطلعنا على جدول المهام والأعمال والتكليفات التى أعدها لنا والتى سنقوم بها طـوال مدة إقامتنا، وكان يضع لتنفيذها جدولا زمنيا يوميا دقيقا، فمنا من كان يتولى تنظيف حمام السـباحة، وآخر يتولى العناية بمزروعات الحديقة، وآخر مهمته الاهتمـام بالملاعب، والمهام بالتناوب والتبادل كل حسـب طاقته وعمره وقدراته وذلك برغم وجود خدم يمكنهم القيام بهذه المهام أسـرع وأفضل منا، لكن جـدى كان يهوى تعليمنا الاعتماد على النفس فى كل شـىء من خلال هـذه المهام، وكان يعلمنا النظام فى كل شىء حتى فى تناول المشـروبات والأطعمة؛ فكان يحدد لكل واحد منا مشـروبين فى اليوم ويترك لنا حريـة اختيار وقت تناولهما. وكان يحـرص على تسـجيل ذكرياتنا معه فى صور تذكاريـة كان يقاوم بها مشاعر الغربة وتذكره بنا فى أيام البعاد.

ولازال الحديث للحفيد كريم أكرم:

وكان جدى يجرى بيننا المسابقات فى السباحة والتنس والرماية باستخدام بنادق الرش، وأطلق على هذه الألعاب تسمية (الألعاب الأولمبية) لتعدد ألعابها، أما الشطرنج فكان الجد «الشاذلى» يجمع لنا قصاصات الجرائد التى نشرت عن بطولة العالم فى الشطرنج وكانت قرابة ٣٠ قصاصة ويطلب منا قراءتها قراءة جيدة لنتعرف على تحركات القطع الفائزة قبل بدء اللعب وكان يشترك معنا فى هذه اللعبة، وكنا نخرج معه إلى الشاطئ ليعلمنا أهمية المد والجزر فى البحر وكيفية الاستفادة منه، وفى نهاية الإجازة قبل عودتنا إلى مصر كان يقيم لنا احتفالا صغيرا عند حمام السباحة يوزع فيه الجوائز وشهادات التقدير الموقعة باسمه وبها درجات التفوق كل حسب اجتهاده، لنحتفظ بها تذكارات لذكريات رائعة قضيناها معه أحفادا محظوظين مع «الشاذلى» الجد الرائع. (انتهت رواية كريم أكرم)

هكذا كان الفريق «الشاذلى» يتعامل فى حياته بكل جرأة وإصرار ونظام بالغ الدقة أينما كان، وهو يتطلع فى أيامه القادمة إلى يوم يعود فيه إلى وطنه وأرض انتصاراته فهل ستحقق له الأيام القادمة أمنيته؟



القبض على «الشاذلى» وسجنه بدون محاكمة!

خلال ١٤ عاما قضاها الفريق الشاذلى فى غربته من نهاية ١٩٧٨م حتى مارس ١٩٩٢م تغير الكثير فى مصر، رحل فيها الرئيس السادات وتولى الحكم بعده الرئيس حسنى مبارك لسنوات تقادمت خلالها الأحكام الصادرة ضد الفريق «الشاذلى» وأصبح المناخ السياسى فى مصر يسمح بعودة الفريق «الشاذلى» إلى مصر، إذ كان «الشاذلى» قد أصابه ملل الغربة فقرر العودة إلى مصر مهما كانت النتائج، وساعده على قرار العودة مسئول كبير فى الدولة وعده وقتها بأن لن يناله أذى عند عودته إلى وطنه مصر خاصة بعدما تقادمت قضيته وسقط عنه الحكم فيها، وامتدت مدة حكم مبارك وقتها ١٩٩٢م إلى ما يزيد عن عشر سنوات مدة تسمح بتقادم الحكم القديم الذى صدر ضده (٣سنوات سجن) فكان قرار «الشاذلى» أن يعود لوطنه مصر فى ١٤ مارس ١٩٩٢م.

وفى هذا اليوم، كانت أسرته تنتظر وصوله بشوق فى مطار القاهرة، ولكن كانت المفاجأة الصادمة أن فوجئ الفريق «الشاذلى» بالقبض عليه لحظة وصوله إلى أرض المطار! فى استقبال ينبئ بمتاعب كبيرة تنتظره فى مصر، فكانت مفاجأة كبيرة «للشاذلى» لحظة رجوعه أرض الوطن وصادمة أيضا للمسئول الكبير الذى وعده بالأمن فى وطنه!

ولـمـا طـال انتظار أسـرة «الشـاذلى» لخروجـه مـع ركاب الطائرة ولم يخرج لهم حاولت أسـرته الاسـتعلام عن سـر تأخره من مسئولين بالمطـار فلم يجبهم أحد، فأدركت أسـرته أن شـيئا مـا قد حدث له، فعـادوا إلى منزلهم يبحثون في الإذاعـات الأجنبية عن خبر عن عودة «الشـاذلى» إلى مصر حتـى عرفوا من إذاعة (مونـت كارلو) بوصوله إلى مصر والقبض عليه وقيادته إلى مكان مجهول، فاتصلت زوجته السـيدة زينات السـحيمى بالدكتور مصطفى الفقى برئاسة الجمهورية وهددت بإضرابهـا عن الطعام واعتصامها أمام مبنى الرئاسـة حتى تعرف ماذا حدث لزوجها ؟ وبعد سـاعات جاءها الـرد وعرفت أن زوجها الفريق «سـعد الشـاذلى» قيد التحفظ في المجموعة ٧٥ مخابرات بعد مصادرة حقائبه بما فيها ملابسـه ومقتنياته ومؤلفاته وكتبـه وصوره وأوراقه الخاصـة ومقالاته و٥٠٠ كتاب محتويـات مكتبته الخاصة التى جلبها معه وكانت تحمل عناوين سياسية وعسكرية هامة، وتم سحب الكروت العسـكرية للعلاج منه وجواز سفره وأوراق أخرى هامة، وتم الاحتفاظ بملفه في رئاسـة الجمهوريـة حتى يصعب الاطـلاع عليه، وتحولت ذكرياتـه واجتهاداتـه وثقافاته ومؤلفاته وكل شـىء يخصه فى لحظة فارقة قيد التحفظ ١٩ سـنة من حياتـه قضاها بعيدا عن وطنه في لندن والبرتغال والجزائر تمت مصـادرة أوراقها فى لحظة، وكتبت جريدة الشـعب بتاريـخ ٢٨ / ٧ / ١٩٩٢م تندد بمصادرة أمتعة الشـاذلى ومن

بينها سيارته المرسيدس القديمة وطلبت الجمارك من أسرته وقتها دفع ٩٥ ألف جنيه لاستلام السيارة .

ولم يخطر ببال «الشاذلى» ولا المسئول الذى وعده بالأمان عند عودته لمصر ولا بال أحد أن الرئيس مبارك سـيحرك القضية من جديد لما وجد فى رجوعه فرصة مناسـبة لتنفيذ الحكم القديم والانتقام من «الشاذلى» فكان القبض على «الشـاذلى» وسـجنه دون محاكمة بأمـر من الرئيس مبارك مفاجأة للجميع وللفريق «الشاذلى» نفسه الذى لم يكن بينه وبين مبارك ما يدعو مبارك للانتقام منه.

وعلـى الفور تحـرك محامو «الشـاذلى» وتحركت معهـم المنظمات الدولية لحقوق الإنسـان ومنظمة العفـو الدولية والرأى العام فى مصر، أسـرع الجميع بالدفاع عن «الشـاذلى» ورأوا أن يرفعوا التماسا للرئيس بإعـادة النظر فى الحكـم فالأمل كبير فى براءة «الشـاذلى» إذا ما تمت محاكمته محاكمة عسـكرية عادلة، ولكن للأسف تم رفض الالتماس، وكذا رفض مساعى محاميه ومساعى كل المنظمات الدولية.

صحفيون مدافعون عن «الشاذلى»

وانقسـمت أقلام الصحافة منهم من يدين الشاذلى ومنهم من يبرئه، ووصفته وقتها الأقلام المدافعة (بأكتوبرالسجين) بقلم محمد أبوالفتح، وكتب يوسـف سـعد (الشـاذلى المفترى عليه) وكتب د. محمود السقا

بعنوان (سلام الله ياشاذلى)، ورحب مصطفى أمين فى عموده اليومى «فكرة» بعودة «الشاذلى» وطالب بأن تحتضن مصر أبناءها الأفذاذ العائدين إليها ولا تدوسهم بالأقدام فمصر فى حاجة إليهم، وتبنت جريدة الشعب قضية «الشاذلى» ودافعت عنه فى مقالات عديدة منها مقالة د. محمد حلمى مراد بعنوان (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك ٨ / ٩ / ١٩٩٢م)، ومقالة محمد أبو الفتح (لماذا الاستمرار فى سجن الشاذلى) وكتبت جريدة الأهالى (أوقفوا الجرح الدامى بالإفراج عن الشاذلى ٧ / ١٠ / ١٩٩٢م) وغيرها من المقالات. أما الأقلام المعارضة فطالبت بالقصاص من الشاذلى وادعت باطلا أنه اضطر أن يعود لمصر بعد أن رفضت دول عربية وأجنبية لجوءه إليها وذلك فى جريدة المساء ١٥ / ٣ / ١٩٩٢م، بينما طالبت روزاليوسف بمقاطعته.

برغم أن عودة «الشاذلى» لم تكن مفاجأة كما ادعت بعض الأقلام، فقبل عودته بأربعة أيام كان «الشاذلى» فى لندن قد أعلن عن عودته لمصر ورغبته فى إعادة المحاكمة لثقته ببراءته، كما أبلغ سفير مصر فى الجزائر من قبل ذلك بسنوات باستعداده للعوده لمصر (المصور فى ٢٠ / ٣ / ١٩٩٢م). ولكن للأسف فشلت جميع المحاولات والمساعى القانونية والإنسانية والإعلامية لإنقاذ «الشاذلى» من عقوبة السجن التى كانت قد سقطت من قبل بالتقادم، ورفض الرئيس مبارك أن يعفو عن بطل رفع بانتصاراته رأس مصر والأمة العربية، و جعله سجينا فى

وطن بطولاته، وحرمـــه التكريم ورفض تعويضه عن بطولته التاريخية في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ليقضي «الشــاذلي» ثلاث ســنوات قادمة من حياته داخل مستشفى الســجن الحربي في وطنه مصــر! ليصبح بذلــك أول رئيس أركان في الجيــش يحمل رتبة فريق ويزج به إلى الســجن ظلما وبدون محاكمة، وليصبح «الشــاذلي» بذلك حالة خاصة فــي عقوبته كما كان حالة خاصة في انتصاراته، ولكن ما أثار دهشة «الشاذلي» وقتها في لغز القبض عليه أن خلافه مع الســادات كانت له مبررات، أمــا موقف الرئيس مبارك فلم يكن واضحا «للشــاذلي»، فلم يحــدث أي صدام بينه وبين مبارك من قبل يدفعه إلى ســجنه والانتقام منه على هذا النحو، وطوال مدة خدمة «الشاذلي» بالجيش كانت تربطه بمبارك علاقات طيبة، فلماذا ماحدث؟ ولما لم يجد إجابة مقنعة استســلم «الشــاذلي» لقدره للحكم الصادر ضده بدخول السجن ظلما.

في سجنه: الشاذلي مريضا بـرغم أنفه

فور دخول «الشاذلي» إلى السجن في المستشفى الحربي ندد د. محمد حلمي مراد في مقاله (حياة الشــاذلي أمانة فــي عنق مبارك) بالإجراء الذي اتخذته الســلطات عند دخول «الشاذلي» المستشفى الحربي ليقضي بها مدة حبســـه (ثلاث ســنوات) وكأنهم جعلوا منه مريضا برغم أنفه

وكان الإجــراء هو إخلاء مبنى المستشــفى الحربى! ذلــك المبنى المكون من دورين يتســعان لنحو مائة سرير تم إخلاؤه من جميع العاملين فيه والمرضى الموجودين حتى يصبح «الشــاذلى» وحيدا فى هذا المبنى الكبير كنــوع من الترويع له، ومع افــتراض أن هذا الوضع لا يقصد منه إلحاق الضــرر «بالشــاذلى» إلا إنه يُدخل الانزعاج عليه وعلى أســرته، وحذر د. محمد حلمى فى مقاله من أنه إذا حدث مكروه «للشــاذلى» من جراء الإخلاء فى مثل هذه الظروف فإنه لا يمكن إلا أن يكون مؤامرة مدبرة، وأن المقصود بهذا الإجراء ترويع الشاذلى وأسرته وأصدقائه ومحبيه وهو عمل يعاقب عليه قانون الإرهاب، ووضع صاحب المقال حياة «الشــاذلى» وسلامته داخل السجن أمانة فى عنق الرئيس مبارك.

وكان اللواء أشــرف راشــد قد تولى وقتها رئاســة إدارة مستشــفى الســجن الحربى وقت تنفيذ عقوبة «الشاذلى» وأصبحت مهمته متابعة تنفيذ «الشــاذلى» للوائح داخل السجن، وهى نفس اللوائح التى وضعها «الشاذلى» من قبل وكان اللواء أشرف راشد واحدا ممن عملوا تحت قيادة «الشــاذلى» من قبل أثناء حرب الاســتنزاف فماذا قال عن إجراء إخلاء المبنى من نزلائه المرضى:

«هذا الإجراء تم بأمر من المشــير حســين طنطاوى تكريما وتمييزا للشــاذلى وليس ترويعا له كما أشيع وقتها، وذلك بعدما رأى المشير أنه لا يليق بالفريق «الشاذلى» أن يقيم مع المخالفين والمجرمين»

ولكن كيف قضى الفريق «الشـاذلى» هـذه الفترة الحرجة من حياته مسجونا؟

واسترســل اللواء أشرف راشد يحكى عن حياة «الشاذلى» فى السجن فيقول:

كان الفريق «الشـاذلى» رجلا قويا وعسكريا ملتزما، استطاع كعادته أن يتكيف مع حياته داخل السـجن باهتماماته الكثيرة، والتزم بلوائح كان قد وضعها بنفسه من قبل، وقت رئاسته لأركان الجيش.

ولم يدخل الشاذلى زنزانة سجن كما تصور كثير من الناس ولا عاش خلف قضبانه، بل إن المشير حسين طنطاوى شخصيا قد أوصانى بالقيام على راحة الفريق «الشاذلى» وأمر بأن يقيم فى جناح كبير فى المستشفى الحربى، لتهيئة إقامة مريحة له طوال فترة سـجنه، فلم يكن الفريق «الشـاذلى» يُعامل كسجين بل كضيف لمدة اسـتضافة محددة، وبأمر من المشـير طنطاوى تم تجهيز حجرته بأثاث خشـبى كامـل ومميز وكان بحجرته حمام خاص ومكتب وثلاجـة خاصة وتليفزيون، ولما لاحظنا توافد الكثيرين لزيارته فى سـجنه خصصنا حجرة لاسـتقبال ضيوفه لكثرتهـم، فكان كثير من الضباط والجنود والقادة يقومون بزيارته وفاءً لقائـد صنعـوا تحت قيادته النصـر لمصر، وكان من بين زواره حسـين الشـافعى وعبدالقادر حـاتم وأحمد حمـروش، وكان بحجرته جرس ليستدعى به الحرس الخاص به لتلبية مطالبه وقتما يشاء.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فيقول:

لم تتغير عادات «الشاذلى» اليومية طوال مدة إقامته بالسجن، فكان مثــالا للالتزام والانضباط، يبدأ يومه كعادته مع الفجر للعبادة (الصلاة وتــلاوة القرآن) ثم يقوم بعمل التمرينــات الرياضية اليومية فى حجرة الرياضــة المواجهــة لحجرته والتــى تم تجهيزها خصيصا له حســب طلبه، وكان من فرط دقته يستخدم الميزان قبل وبعد استخدامه للعجلة الرياضية لحســاب الفاقد من وزنه بدقــة، وكان يلتزم بنظامه الغذائى الصحى ويحــرص على تناول وجبات خفيفة وصحيــة ومياه معدنية، وبعــد الإفطار يطالــع الجرائد اليومية ليتعرف مــن خلالها عما يدور مــن أحداث فى مصر، وكانت مطالعته للجرائــد غاية فى الدقة، فكان يضع خطوطا بقلمه تحت أخبار معينة، خاصة مؤشرات البورصة التى كانت تكشــف له عن الحالــة الاقتصادية فى مصــر، وكانت له علاقة وطيدة بالمصحف وكان يحرص عند تلاوته على اســتخدام الورقة والقلم ليســتخرج آيات لها دلالات خاصة لديه ويســجلها فــى أوراقه ليمكن الرجوع إليها والاستدلال بها فى كتاباته.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فاستطرد يقول:

واســتفاد «الشــاذلى» من مدة حبســه ليحقق رقما قياســيا فى ختم المصحــف ٧٠ مرة خلال عام ونصف العام قضاها فى محبســه، وحرص «الشــاذلى» على حفظ القرآن خاصة الســور الطويلة منــه، فكان يقرؤه

للعبادة والتدبر والتفكر والدراسة، فاستفاد من مدة حبسه بزيادة قربه من الله.

وبالرغم من كل هذه المزايا فإن الفريق «الشاذلى» لم يكن يشعر بالأمان، ولم يفارقه هاجس الإجهاز عليه ومحاولة قتله، لذا كانت تعليماته بعدم تغيير الحرس الخاص به إلا بإذنه، حتى لا يندس جديد بينهم بحجة حراسته لينال منه، وطلب منى تشديد الحراسة على البوابة الرئيسة، وكان يصعد أحيانا فوق سطح السجن ليعرف المنافذ التى يمكن أن توصل إليه من سيسعى لقتله إلى حجرته إذا صح ظنه.

وكان المشير طنطاوى قد أوصى للفريق «الشاذلى» بالاستعانة بالمستشار الطبى المعالج للمشير إذا ما احتاج الفريق «الشاذلى» لطبيب، ولكن الفريق «الشاذلى» كان يحب العدل فى كل شيء ويرفض التمييز، فعندما أصيب بآلام فى أسنانه قام طبيب الأسنان دون علم «الشاذلى» خلال أسبوع واحد بنقل معدات عيادته الخاصة إلى حجرة خاصة بالسجن لتصبح جاهزة خصيصا لعلاج «الشاذلى» فقط، وقام بتعقيمها، وساعدته إدارة السجن بإعداد حوائط الحجرة وتجهيز أرضيتها حتى أصبحت عيادة الأسنان الخاصة جاهزة لاستقبال «الشاذلى» وإذا به يغضب من هذا التمييز ويرفضه وطلب أن تتم معه الإجراءات المتبعة مع أى سجين والتى وضعها «الشاذلى» من قبل عندما كان رئيسا للأركان فأعاد الطبيب

معداته إلى عيادته بالعباسية، وكان الحرس يرافق الفريق «الشاذلى» في ذهابه وإيابه إلى طبيب الأسنان خارج السجن تطبيقا للإجراءات المتبعة مع أى سجين عادى.

ولازالنا مع حديث اللواء أشرف راشد:

فـى ليلة مـن الليالى وفى ساعة متأخرة من الليل حوالى العاشرة والنصف مساء قام محامى الفريق «الشاذلى» جلال الديب مع لواء من رئاسة الجمهورية بزيارة «الشاذلى» بحجة تفقد أحواله والاطمئنان على راحته ! ولكن الفريق «الشاذلى» طلب منى حضور المقابلة فعرفت أن حقيقة هذه الزيارة فى هذا الوقت المتأخر من الليل هى محاولة إقناع «الشاذلى» أن يكتب للرئيس مبارك بخط يده التماسا للعفو عنه وكان الطلب مفاجأة «للشاذلى» فرفضها فى إصرار. وطالت محاولات الزوار إقناع «الشاذلى» حتى امتدت لساعات الفجر، ولكن «الشاذلى» ظل على عناده فى الحق يرفض ويرفض، فقد كان شعوره بالظلم عظيما لايداويه أى عفو (إلى هنا انتهى حديث اللواء أشرف راشد)

ربمـا لم ينس مبارك أنه كان يوما تحت رئاسة «الشاذلى» رئيس الأركان يتلقى منه الأوامر العسكرية ليقوم بتنفيذها، والآن دارت الأيام على «الشاذلى» وأصبح تحت رحمة مبارك، فأراد مبارك من «الشاذلى» أن يستجديه فى طلب العفو، علاوة على أن مبارك لم ينس للشاذلى خلافه فى الرأى معه حول موقف مصر من حرب الخليج فى ١٩٩١م .

وأمـام اعتزاز «الشـاذلى» بنفسـه ويقينه من أنه علـى الحق رفض وبإصـرار أن يكتب مثل هذا الالتماس وهـو برىء، ليفوت على مبارك فرصة جرح كبريائه والانتقام منه، ورفض «الشـاذلى» رفضا شـديدا أن يُذل نفسـه ويتنازل عـن كبريائه ويطلب العفو مـن ظالمه وهو برىء، فيكفـى «الشـاذلى» أن مبارك سمح بإلغاء صور «الشـاذلى» من بين صور أبطال حرب أكتوبر وسمح بتبديلها بصور مبارك، وكثير من المحاولات لطمس تاريخ «الشـاذلى» وانتصاره العسـكرى العظيم في حرب أكتوبر والتى كشفت عن رغبة مبارك في إزاحة «الشاذلى» عن أضواء النصر .

ويعود اللواء أشـرف راشـد ليحدثنا هذه المرة عـن يوم الإفراج عن «الشاذلى» فيقول :

جاء قرارالعفو عن الفريق «الشـاذلى» فى ٥ / ١٠ / ١٩٩٣م بمناسبة أعيـاد أكتوبر وبعد قضائه نصف مدة العقوبة (عام ونصف العام) كانت قد مضت على سـجنه، ويوم الإفراج ينتظره كل سـجين إلا «الشـاذلى» لم تفرحـه فرحة الإفـراج المتوقعة ! لأنه لم يكن عفـوا خاصا للفريق «الشـاذلى» بل كان عفوا عاما مع باقى المسـاجين لحسـن السلوك وقضاء نصـف المدة، فلم يداو ذلك العفو جـرح ظلمه ولم يعيد الحق إلى نصابه على النحو الذى أراده «الشاذلى». (انتهى بذلك حوار اللواء أشرف)

فهل كان يليق بقائد عسكرى فى قامة الفريق «الشاذلى» بعد ما لاقاه من ظلـم وانتقام أن يأتيه العفو عاما مع باقى المسـاجين؟ هل يسـتوى الأبطال بالمجرمين والخارجين على القانون؟

وأخيرا خرج النسر من محبسه، خرج ليبدأ حياة جديدة يتنسم فيها الحرية في وطنه، ولم يثنه الإفراج عن تراجعه عن موقفه من السلطة حتى إنه أجرى في يوم خروجه حوارا مع جريدة الشعب أكد فيه ثباته على موقفه وإصراره على الدفاع عن قضيته.

وأعتقد أن ما كان يُقلق الرئيس مبارك وقتها من الفريق «الشاذلي» هو إصراره الشديد على إظهار الحقيقة، فتجاهل مبارك تكريم الفريق «الشاذلي» في الذكرى ٢٥ لنصر أكتوبر مع قادة القوات المسلحة! كما منع عنه (نجمة الشرف) وما يتبعها من مزايا مادية له ولأسرته حتى بعد العفو.

وأحسب أن الفريق «الشاذلي» كان ثروة قومية لم يُحسن نظام مبارك استخدامها لصالح مصر بعد عودته للوطن، واختصر تاريخه العسكري المشرف في خلافه مع الرئيس السادات، فلم يخسر «الشاذلي» شيئا بسجنه بل زاده الظلم قوة على قوته وخسرت مصر رجلا من خيرة رجالها وعبقرية عسكرية نادرة كان يمكن أن يضيف الكثير لوطنه فكيف ودع الفريق «الشاذلي» متاعبه هذه المره ليبدأ حياته الجديدة؟



الشاذلى يضع خطة مدروسة لرحلة الحج

أثناء عمله سفيرا لمصر فى البرتغال سافر الفريق «الشاذلى» إلى ألمانيا لشراء سيارة مرسيدس وحملها معه إلى مصر عند عودته فى مارس ١٩٩٢م وصادرتها الجمارك حتى فوجئت أسرته ببيع هذه السيارة فى المزاد، عن هذه الواقعة تقول شهدان الشاذلى:

«قام والدى بشراء هذه السيارة عام ١٩٧٦م عندما كان سفيرا لمصر بالبرتغال وسافر بها إلى أسبانيا لعقد مؤتمر صحفى انتقد خلاله اتفاق كامب ديفيد، وكان والدى يتنقل بها بين العواصم التى عمل بها، وأخذها معه إلى الجزائر وظل محتفظا بها حتى عودته إلى مصر فى ١٩٩٢م، ووقتها صادرتها الجمارك المصرية وطالبت بجمرك أكثر من ثمن السيارة ولذا ظلت السيارة فى الجمرك حتى عام ١٩٩٥م، فتبرع بها والدى للقوات المسلحة فطلبت الجمارك من القوات المسلحة دفع جمارك السيارة ولما لم تدفع القوات المسلحة فبقى الحال على ما هو عليه، حتى عرفت من إحدى صديقاتى أن السيارة معروضة للبيع فى مزاد فذهبت للمزاد واشتريتها بـ ٦٠ ألف جنيه برغم أن ثمنها كان ٤٠ ألف جنيه، والحمد لله أن المزايد أمامى فى المزاد لم يكن يعرف أهمية هذه السيارة بالنسبة لى، ولم يعرف أن السيارة تخص الفريق سعد الشاذلى ولم يعرف أيضا أنى ابنته».

وبعد خروجه من السجن عاد الفريق «الشاذلي» كعادته يمارس نشاطاته المختلفة ويستمتع بحياته، بدأها في بلدته «شبراتنا» في الغربية حيث بدأ بإعادة بناء بيته هناك على الطراز الحديث، وأقام مسجدا ومصحة ومشروعات أخرى خدمية لأهل بلدته، وظل محتفظا بنشاطه الذهني وذكائه المتقد لآخر لحظة من حياته، فكان يضع لكل مشروع خطة حتى العزومات الكبيرة التي كان يقيمها للعائلة في المناسبات كان يضع لإتمامها خطة بحسابات دقيقة يحدد فيها أصناف الأطعمة والمشروبات بما يلزم لعدد المدعوين بدقة متناهية، وكان يضع خطة لتوزيع ذبيحة عيد الأضحى بالعدل بين فقراء بلدته، وكان يهتم في هذه المرحلة من حياته بلقاءات الأهل والأقرباء لتوطيد صلات الأرحام، وعلى الجانب الآخر كان يتلقى دعوات حضور مؤتمرات ويكتب مقالاته في صحيفة الشعب معلقا فيها على ما يجد من أحداث على الساحة العربية، وكانت بعض مقالاته تحمل تلك العناوين:

«إلى الذين يرقصون على أنغام العدو»، وعنوان آخر «لا أخشى على مصر من السودان»، وعنوان ثالث «بنود كامب ديفيد تمكن إسرائيل من احتلال سيناء في ٢٤ ساعة» وحوارات أخرى حول ذكرياته العسكرية في الحروب التي شارك فيها.وكان الفريق «الشاذلي» كاتبا بارعا يملك أدوات الكتابة وبراعة التعبير، وكانت له مؤلفات بعد مذكرات حرب أكتوبر (الخيار العسكري العربي، الحرب الصليبية الثامنة)،

وكلها مؤلفات عسكرية كانت نتاج خبرته العسكرية، أما كتابه أربع سنوات فى السلك الدبلوماسى فسجل فيها ذكرياته وخبراته الإنسانية وعلاقاته الدبلوماسية.

وظل على حاله ونشاطاته حتى وصل فى ١٩٩٩م إلى عمر ٧٧ عاما وأراد وقتها أن يجدد عهده مع الله بأداء فريضة الحج للمرة الثانية من حياته، وصحبه فى رحلته إلى السعودية وقتها حفيده الشاب معتز عبد الرحمن، الذى قال عن ترتيبات جده «الشاذلى» للحج:

كعادة جدى فى الترتيب لكل شىء بالدراسة والتخطيط وترتيب التفاصيل الدقيقة ووضع خطط دقيقة لكل شىء، قام بالترتيب لرحلته إلى الحج قبلها بشهر، فبدأ يزيد من مدة تدريبه اليومى على المشى لإكساب عضلاته المرونة اللازمة للجهد المطلوب بالمشى لمسافات طويلة فى أداء مناسك الحج، وقام بدراسة خريطة لمواقع الحج فى منى وعرفات ومزدلفة ومكة والمدينة المنورة لتحديد المسافة التى تفصل بين هذه المدن بعضها البعض لتحديد الزمن اللازم لقطعها، واضعا فى حسبانه كل الظروف الطارئة والمتوقعة مثل زحام الطريق أو تعطل الأتوبيس، لكل شىء عنده حسابات غاية فى الدقة جعلته يحدد كمية الطعام اللازمة له أثناء التنقل بين هذه الأماكن المقدسة حسب طول المسافة، وكانت وجبته الخفيفة اليومية لا تتغير مهما تغيرت ظروف الإقامة حفاظا على وزنه حتى لا تُعيقه زيادة الوزن عن أداء المناسك.

حتى عدد خطواته من محل إقامته إلى الحرم حتى وصوله إلى الكعبة كان يحسبها بدقة واضعا فى اعتباره زمن الخطوة البطيئة بسبب الزحام حتى فى مِنىً مكان رمى الجمرات عندما حسـب المسافة ووجدها تفوق قدرتـه وَكَّل حفيده «معتز» فى رمى الحصى لـه تجنبا لمعاناة قد تفوق طاقته. وكان يجرى دراسـة مقارنة بين الحج الأول فى شـبابه والحج هذه المرة ليجد أن الفرق بين الرحلتين هائل خاصة أنه طاف فى رحلته الأولى حول الكعبة على حصى ساخن كان يلهب أقدامه.

ويضيف الحفيد المهندس معتز عبد الرحمن:

كان المثل الأعلى للفريق «الشـاذلى» بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - هو أمـير المؤمنين (عمر بـن الخطاب) فى عدله وحسـمه وصرامته ودفاعـه المسـتميت فى الحق، وفـى حرصه على إقامة قواعد راسـخة لدولة المسـلمين، واختيار الأصلح للمسلمين حتى ولو كان ضد مصالحه الشـخصية، و من المواقف التى لفتت انتباه «الشاذلى» فى شخصية عمر ابـن الخطاب هى توقيره للقرآن وحرصه على حفظه، فلما وجد صعوبة فـى حفظ القـرآن قرر ابن الخطاب أن يحفظ سـورة البقرة أطول سـور القرآن واحتفـل بهذا الإنجاز وقدم فى احتفالـه الذبائح. كل ذلك كان موضع إعجاب الفريق «الشـاذلى» حتى إنه كان يتسـابق مع حفيده فى حفظ بعض سور القرآن فى الحج، وكان مصحفه مميز بامتلائه بعلامات وتسـطيرات بقلمه الرصاص يسـتدل بها فى الحفظ والتلاوة، واستغل فرصة الحج لمراجعة القرآن مع حفيده.

وبالرغم من أن جـدى كان بملابس الإحرام فإن الكثير من الحجاج المصريـين والعرب والدعاة تعرفـوا إليه وتجمعوا حوله يسـألونه عن أسـرار خلافه مع الأنظمة السياسـية فى مصر، ويطلبـون التقاط صور تذكارية معه، فكان يرفض المطلبين حتى لا يضيع جهده وطاقته بعيدا عن التركيز فى المناسك، مهمته الدينية التى جاء من أجلها.

ولازال الحديث للحفيد معتز عبد الرحمن:

وعـاش جدى الفريق «الشـاذلى» سـنواته الأخيرة بنفس حماسـه المعتـاد، وكان يـرى أن الدنيا برغم همومها ومتاعبهـا إلا إنها مليئة بالمهام الأخرى المتعة، فكان كلما انتهى من مهمة صنع لنفسـه مهمة جديـدة تضيف إنجازا جديدا إلى حياته، فـكان يهتم بأرضه الزراعية وأحـوال الفلاحـين القائمين على زراعتها، وكان يشـترك فى مجلات أجنبية عسـكرية ويهتم بمتابعة ما ينشر فيها من معلومات عسكرية، إلى جانب نهمه فى قراءة الجرائد اليومية المصرية والأجنبية. (انتهى حديث الحفيد معتز عبد الرحمن)

ولم يدر الفريق «الشاذلى» بعدما امتد به العمر حتى ٨٩ عاما ونالت الشـيخوخة من صحته وبدأ المـوت يقترب منه لينذر بقرب رحيله عن الدنيـا، لم يدرِ أن مفارقـات اللقطة الأخيرة من حياته سـتكون أروع خاتمة لرحلته فى الحياة، فماذا رتب الله تعالى للفريق «سـعد الشاذلى» فى وداعه يوم رحيله فى اليوم التاريخى لمصر فى ١١ / ٢ / ٢٠١١م؟

شعب مصر يودع الشاذلى فى جنازة مليونية

كانت المرة الوحيدة التى أعلن فيها البطل الفريق «سعد الشاذلى» استسلامه هى معركته مع المرض والشيخوخة، لم تهزمه الحروب والمعارك ولم يهزمه الظلم الذى وقع عليه ولم تتعبه الغربة وكثرة الترحال ولكن هزمته الشيخوخة بعدما نالت من صحته وقوته، وعندما اقتربت لحظات الرحيل بدأت الأقدار ترتب المشهد الأخير من حياة الفريق «الشاذلى»، قدر الله أن يأتى رحيل «الشاذلى» إلى مثواه الأخير فى الدنيا يوم تغيير التاريخ فى مصر، يوم انتصار ثورة ٢٥ يناير فيما أسماه الثوار بجمعة الرحيل، التى تم فيها رحيل مبارك وتخليه عن رئاسة مصر.

فى هذا اليوم ترجل البطل «سعد الشاذلى» عن جواد إصراره الذى رمح به لسنوات طويلة داخل مصر وخارجها من الهزيمة والانكسار إلى التحدى والانتصار، ليعلن فى محطته الأخيرة استسلامه لمشيئة الله، لم يحدد «الشاذلى» موعد رحيله عن الدنيا ولم يحدد الرئيس مبارك موعد رحيله عن كرسى الرئاسة وتخليه عن الحكم، لكن الله تعالى حدد لكل منهما موعده ليرحل الاثنان كل إلى مصيره فى يوم واحد وكأنه كان يوم القصاص «للشاذلى»؛ ففى الوقت الذى اصطف فيه آلاف المصلين

والمودعين والضباط أبطال أكتوبر خلف جثمان الفريق «الشـاذلى» لتقديم تحية العرفان لقائد ملحمـة النصر فى لحظات وداعه الأخير، اصطف أيضا ملايين الثوار فى الميدان الثائر ميدان التحرير ليؤدوا صلاة الغائب لروح الفريق «الشـاذلى» ويودعوه بكلمات تهز المشـاعر (الله يرحمك يا شـاذلى... أخذنـا بثأرك يا بطل) وكأنهم يعتـذرون للبطل عن ظلم وقع عليـه يوما فى عصر الرئيس مبـارك ، ويعاهدونه على مواصلة الكفاح من بعده.

ولما ارتفـع الجثمان على أعناق رجال الشـرطة العسـكرية وتبعه جمهور المصلـين من رجال الصاعقة والمظلات وأفرع القوات المسـلحة، كان طابـور المعزيـن يصعب فيـه التفريق بين أهل «الشـاذلى» وأقاربه وأسـرته وبين ضباطه من رجال القوات المسـلحة فى جنازة عسـكرية وشـعبية مهيبة والجثمـان يتقدمهم على عربة عسـكرية ملفوفا بعلم مصر، وفى مقدمة المشـيعين عدد كبير من كبار رجال القوات المسلحة، وباقات الورد وحملة الأوسمة والنياشين حتى وصل إلى مستقره الأخير فـى مقبرته، وبعد ذلك بسـاعات قليلة فى نفس اليـوم تم الإعلان عن تخلى الرئيس حسـنى مبارك عن رئاسة الجمهورية وانتقل بعدها إلى مستشفى شـرم الشيخ قيد الإقامة الجبرية هناك... يا سبحان الله وكما تديـن تُدان، تماما كما أجبر الفريق «الشـاذلى» من قبل أن يدخله ظلما مستشـفى السـجن الحربى ليظل فيها قيد الإقامـة الجبرية.... اللهم

لاحــول ولا قــوة إلا بالله، لحظــات قدرية لايقوى علـــى ترتيبها بهذا النسق الخارق إلا الله تعالى ولا أعتقد أن الفريق «الشاذلى» نفسه توقع أن يأتى رحيله فى يوم تاريخى فى حياة المصريين وينال فيه هذا التكريم الشــعبى ويودعه المصريون فى جنــازة مليونية مهيبة على النحو الذى تمت عليه.

وتروى شهدان الشاذلى عن برقية عزاء خاصة توقفت عندها وقالت:

«تلقينا من رئاســة الجمهورية صباح جنازة والــدى وقبل الإعلان عن رحيل مبارك عن الحكم بســاعات قليلة تلغراف تعزية لنا (أســرة الشاذلى) يعتذر فيه الرئيس مبارك عن تخلفه عن حضور جنازة الفريق الراحل».

فهل كان الرئيس مبارك يعتذر فى هذه البرقية الحزينة عن حضور الجنازة وحسب؟ أم كان يعتذر للشاذلى وأسرته عما ناله ونالهم من ظلم علـــى يد مبارك وفى عصره؟، عندما كان مبارك على قمة الســلطة وكان قادرا على تبرئة «الشــاذلى» ولكنه تعســف وقتها فى استغلال سلطته وجدد الحكم الصادر ضد «الشاذلى» من قبل ، لم يعف مبارك عندما كان قادرا على العفو ولم يأمر وقتها بمحاكمة عادلة تُبرئ «الشــاذلى» ولكنه أصر على سجن «الشاذلى» ظلما وبهتانا ودون محاكمة. فهل تكفى برقية اعتذار لتضميد جروح أمَة سُــجن بطلها ظلما فى وطنه ساحة انتصاره؟ وهل تشفع للرئيس مبارك برقية عزائه الآن فى يوم إزاحته من كرسى

الرئاسة بعد أن هلك عنه سلطانه وسلطته؟ وأعتقد أن ظلم مبارك للفريق «الشاذلى» كان سقطة كبيرة ووصمة عار فى تاريخ مصر العسكرى وفى حق الشعب المصرى من الصعب أن يغفرها أى اعتذار.

وظل الفريق «الشاذلى» حالة خاصة من البشر حتى يوم رحيله عن الدنيا فى يوم ١١ فبراير ٢٠١١م. وعبرت مصر عن عرفانها وتكريمها للفريق «الشاذلى» بعد رحيله ومنحته وسام «نجمة الشرف العسكرى» بعد رحيله بأيام فى فبراير ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر، كما وافق المسئولون فى نفس العام ٢٠١١م على نشر كتاب «الشاذلى» مذكرات حرب أكتوبر فى مصر والذى كان ممنوعا تداوله فى مصرمن قبل، وفى ٤ أكتوبر ٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وتسلمته أسرته.

وكانت أسرة «الشاذلى» قد طالبت بعد رحيله بالإفراج عن باقى مؤلفاته التى تمت مصادرتها مع كتبه ومقتنياته الثقافية وأوراقه الخاصة وصوره وذكرياته، وإعادة صورته إلى مكانها الصحيح فى صور حرب أكتوبر بين أبطال الحرب والقادة تصحيحا للتاريخ وكان لهم ما أرادوا فى عهد الرئيس محمد مرسى، وشاهد المصريون على شاشات التلفاز فى الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر صور الفريق «الشاذلى» فى

أفلام تسجيلية عن حرب أكتوبر مع السادات والقادة العسكريين فى غرفة العمليات ومع جنوده على خط النار حقيقة مسجلة للتاريخ.

وأعلنت وسائل الإعلام فى ١٥ / ١٠ / ٢٠١٢م أن السيدة شهدان الشاذلى قد أهدت مذكرات والدها الفريق «سعد الشاذلى» إلى مكتبة الإسكندرية. وأطلقت القوات المسلحة اسم الفريق سعد الشاذلى على المحور الدائرى بين مدينة العبور ومدينة الحرفيين.

ورحل الفريق «الشاذلى» عن الدنيا وظل اسمه خالدا فى التاريخ العسكرى المصرى والعربى الذى سجل مع بطولاته ظلما عظيما وقع عليه، فالحق أبدا لا يموت والحقيقة مهما غابت لابد لها أن تظهر جلية للجميع بعدما تنقشع من حولها الغيوم. وها هى ذى الأيام تدور لتظهر مع دورتها الحق، وها نحن نكتب عن أمجاد الفريق «سعد الشاذلى» وبطولاته بعدما تحققت توقعاته المستقبلية التى كتبها بخط يده فى مذكراته قبل أن يموت بعشرات السنين فقال فيها :

(أنا واثق أن مصر ستكرمنى فى يوم من الأيام عندما يعرف شعب مصر حقائق وأسرار حرب أكتوبر)

رحم الله الفريق البطل «سعد الشاذلى» وجزاه عن وطنيته وبطولاته وخدمته لوطنه وأمته خير الجزاء.

ملحق الصور







No. 7900

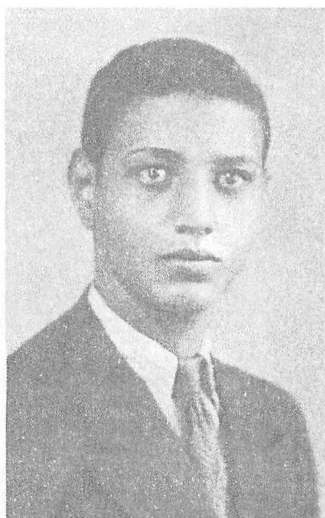
NAME AND RANK / NOM ET GRADE: COL SAAD EL SHAZLY

NATIONALITY NATIONALITE	BORN NE LE	HEIGHT TAILLE	WEIGHT POIDS	HAIR CHEVEUX	EYES YEUX	SCARS CICATRICES
UAR	1922	174	170	BLACK	BROWN	NIL

UNITED NATIONS

(SIGNATURE OF HOLDER)
(SIGNATURE DU PORTEUR)

(FOR THE SECRETARY-GENERAL)
(POUR LE SECRETAIRE GENERAL)















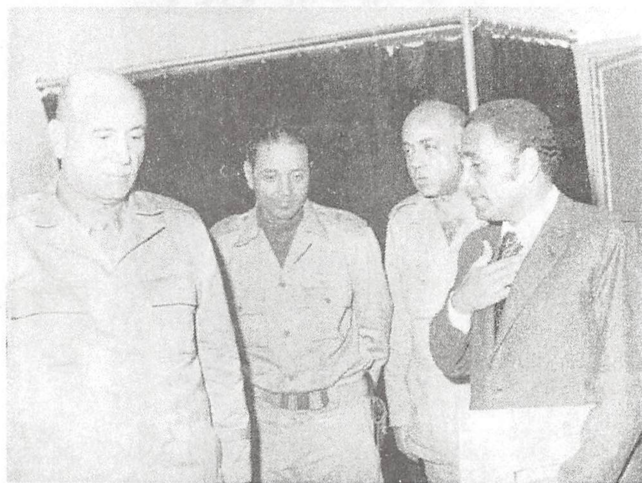














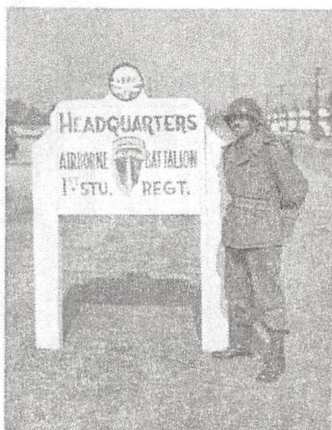




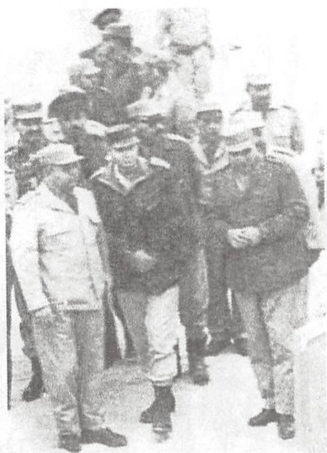




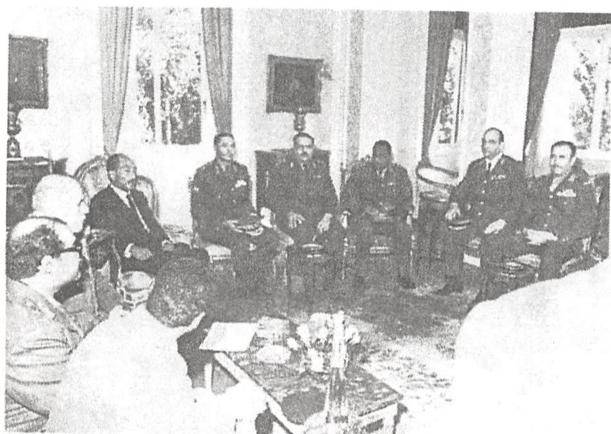



HEADQUARTERS
AIRBORNE BATTALION
1st STU. REGT.







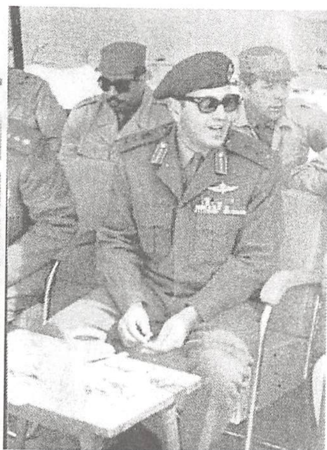


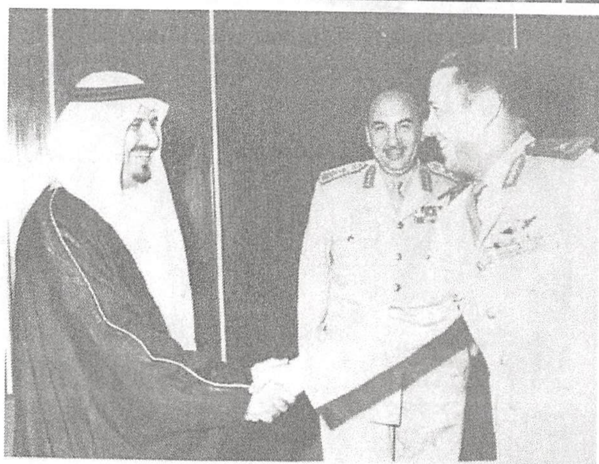












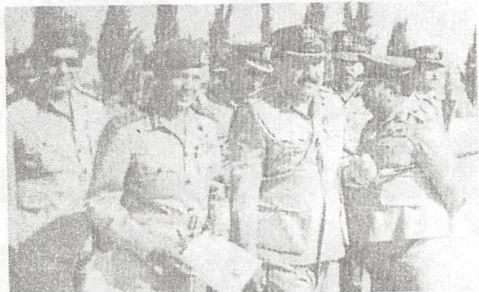
























المراجع

- روايات أسرة الفريق الشاذلى كريماته وأحفاده.
- روايات ضباط القوات المسلحة ممن عاصروا الفريق الشاذلى:

الواء د. إبراهيم شكيب.

اللواء أشرف راشد.

اللواء جمال مظلوم.

اللواء محمد التميمى.

الفريق يوسف عفيفي.

العقيد يحيى الشاذلى.

- مقالات وأخبار صحفية عن الفريق الشاذلى.
- الموقع الخاص بالفريق الشاذلى على شبكة الإنترنت.
- (قصتى مع النظام) للكاتبة سوسن أبوحسين.
- (الفريق الشـاذلى وأسـرار الصدام مع السادات)- للكاتب محمود فوزى.
- مذكرات الفريق سعد الشاذلى عن حرب أكتوبر.
- صور الكتاب مهداة من أسرة الفريق سعد الشاذلى.

تم بحمد الله

الكاتبة فى سطور

- آمال محمود البنا كاتبة صحفية بجريدة الأخبار.
- بكالوريوس تجارة جامعة عين شمس.
- عضو نقابة الصحفيين المصريين.
- عضو اتحاد الصحفيين العرب.
- عضو اتحاد الكتاب المصريين.
- عملت في أبواب الأخبار المتنوعة منها باب حكايات والصفحة الطبية وصفحة المرأة وجميع الأبواب الإنسانية. وكذا الإصدارات المختلفة (آخر ساعة وأخبار النجوم).
- برعت في القصة الإنسانية وتخصصت فى كتابتها فى بابها الأسبوعى بالأخبار (لست وحدك) .
- مارست العمل التليفزيونى بنشاط متميز فى إعداد برامج ثقافية وسياحية للفضائيات المصرية.
- قدمت عدة أعمال أدبية منها:

«صوت تحبه الملائكة» وتم ترشيحه كعمل درامى فى التليفزيون المصرى.

«رسالة من الجنة» قصة واقعية لها مرجعية دينية أشاد بها فى تقديمها د. على جمعة مفتى الديار المصرية.

رواية «زهرة الخريف» والمجموعة القصصية «قصة وعبرة».

للتواصل مع الكاتبة

«٠١٠٠١٥٦٢٨٦٠»

الفهرس

إهـداء ٠٠٥
تنويه ٠٠٧
سيرة الفريق سعد الدين الشاذلى........................ ٠٠٨
قالوا عنه ٠١٢
قبل الرحلة ٠١٣
طفولة الشاذلى بين شبراتنا والقاهرة ٠١٧
مصر فى قلوب المصريين ٠٢١
الشاذلى ضابطا بالحرس الملكى ٠٢٥
الشاذلى قائدا لكتيبة المظلات ٠٣٣
ثلاثة رجال فى بيت الشاذلى ٠٣٧
الشاذلى يحدث أزمة دبلوماسية فى الكونغو ٠٤٣
فى نكسة ١٩٦٧م: الشاذلى ينجح فى حماية قواته من العدو ٠٥٢
حرب الاستنزاف علامة بارزة فى مشواره العسكرى ٠٥٩
إبداعات عسكرية للشاذلى فى البحر الأحمر ٠٦١
الشاذلى رئيسا لأركان حرب الجيش ٠٦٥
مباحثات مثمرة للشاذلى فى الدول العربية ٠٦٩

الشاذلى يضع خطة المآذن العالية ٠٧٤
أعظم أيام النصر فى مصر ٠٧٩
الفريق الجمسى يكشف حقائق جديدة حول الثغرة............... ٠٨٥
إقالة الشاذلى من رئاسة أركان الجيش ٠٩١
مفاجأة مذهلة للشاذلى في لندن ٠٩٤
المتاعب تلاحق السفير الشاذلى فى لندن ٠٩٨
أنشطة جديدة للشاذلى فى البرتغال ١٠٣
الجزائر تستقبل الشاذلى بحفاوة بالغة ١١٠
الشاذلى ينطلق بنشاطاته فى الجزائر ١١٧
القبض على الشاذلى وسجنه بدون محاكمة ١٢٣
الشاذلى يضع خطة مدروسة لرحلة الحج ١٣٥
شعب مصر يودع الشاذلى فى جنازة مليونية ١٤٠
ملحق الصور ١٤٥
المراجع ١٦٦
الكاتبة فى سطور ١٦٧

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام
الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.
- الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات.

بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة

يصدر
قريبا

■ التفكير الجماعى
د. إبراهيم المغازى

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٤٨٣٠
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٨-٩٧٧-٠٢-٧٨٤١-٣

١ / ٢٠١٣ / ٩٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)